العدد ٥ — ايار سنة ١٩٠٨

المشرق

يوبيل سيّدة لورد

وتدشين تمثال مريم العذراء في لبنان

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

وافقت هذه السنة موسمين جليلين لا يمكننا السكوت عنهما لعظم شأنهما في جانب الدين فانّ للمسيحيين عموماً وللكاثوليك خصوصاً في كليهما عيدًا اذ يعزّزان فيهم روح التقى ويهيّجان في قلوبهم عواطف الشكر والحبّ لتلك التي طالما غمرتهم ولم تزل بنعمها السابغة وبركاتها الدارّة. فالموسم الاول يوبيل ظهور السيدة البتول الطاهرة في مدينة لورد من اعمال فرنسة قبل خمسين سنة. امّا الثاني فموسم حديث كان موعدهُ في الثالث من هذا الشهر المبارك شهر أيار المختصّ بإكرام ذات العذراء الشريفة بتدشين اول تمثال ينصب في لبنان لشخصها الكريم. فيليق بنا ايضاً ان نقرن صوتنا الضعيف الى اصوات كلّ المتعبدين لوالدة الاله فنكتب هذا الفصل الموجز في ذكر العيدين وبيان خطرهما لتسمو في قلوب اهل الوطن العزيز الثقة بشفاعة العذراء المشفعة فيستلفتوا انظار تلك الامّ الشفوقة ويستمطروا من جودها الخيرات الروحيّة والزمنيّة فتبارك عيالهم وتوفق امورهم وتساعدهم في نوال سعادة الدارين

١ يوبيل سيدة لورد

في ٨ كانون الاول من السنة ١٨٥٤ اعلن بيوس التاسع بملء سلطته الروحيَّة كنائب السيد المسيح وخلف القديس بطرس هامة الرسل ومعلم الكنيسة الاعلى بأنَّ البتول العذراء مريم ابنة القديسين يواكيم وحنَّة حُبل بها بلا دنس الخطيئة الجدّيَّة التي ورثها الجنس البشري كافَّة منذ تجاوز الابوان الاوَّلان وصيَّة الرب في الفردوس وذلك بنعمةٍ خصوصيَّة منهُ تعالى الذي صانها من تلك الوصمة الشائنة لسابق نظرهِ الى استحقاقات ابنهِ الوحيد السيد المسيح المولود منها

فتهلل وتنشر العالم الكاثوليكي طرباً وصرخ مذعناً لتعليمه: «قد نطقت رومية ونطقها عين الصواب» . ولا غرو فان هذا القول يوافق بالتمام تعاليم الكنيسة والآباء شرقاً وغرباً منذ عهد الحواريين كما تشهد على ذلك الشهادات المقرَّرة في بطون التواريخ وفي الكتب الطقسيَّة والآثار الكتابيَّة (١

على ان السيدة البتول لم تكتفِ من سموّ عرشها في السماء ان تبتسم لتحيَّة اهل الارض وتتقبَّل تطويب الشعوب لها بسبب تلك النعمة الفريدة التي خصَّها الله بها وحدها بين ابناء آدم بل ارادت ان تصرّح بشكرها للكنيسة وتفتح لاولادها ينابيع جديدة من الخيرات والنعم يستقون من مواردها مياهاً تنبجس للحياة الابديَّة

في ضحى اليوم الحادي عشر من شباط من السنة ١٨٥٨ وهو الخميس من الجمعة الواقعة قبل الصوم خرجت ثلاث فتيات من اهل مدينة صغيرة تُدعى لوردشيرة بحصنها القديم في مقاطعة جبال بيريناي العليا من اعمال فرنسة ليجمعن حطباً يابساً على مسافة ربع ساعة من البلدة. وكانت اثنتان منهنَّ اختين تُدعيان برنادات ومريم سوبيروس والثالثة ابنة جارهما السبا حنة أبادي وكانت هذه اكبرهنَّ عمرها خمس عشرة سنة. وكانت الصغرى مريم. امَّا برنادات الوسطى فكان عمرها اربع عشرة سنة وهي اضعفهنَّ بنية والطفهنَّ مزاجاً وارقهنَّ طبعاً وكان ابواها سلَّماها الى بعض الاصحاب في قرية

١) راجع مقالتنا المعنونة «عقيدة الحبل بلا دنس في الكنائس الشرقية» في المشرق (٧: ٢٦٥ و٤١١)

قريبة اسمها برترلس ليتثروا بتربيتها فعهد هؤلاء اليها لمّا كبرت برعية قطيع صغير من الخراف فقضت حياتها في السذاجة والتقى لا تعرف القراءة والكتابة وانما كانت علمت من امها الصلوات العادية فتلوها بنشاط · وبقيت برنادات في برترلس الى ان حان الوقت لتستعدّ لمناولتها الاولى فاستدعاها ابواها الى لورد لتحضر شرح التعليم المسيحي في كنيستها · وفي تلك الاثناء بعد اسبوعين من رجوعها خرجت حاطبة كما سبق

يجري قريباً من لورد نهر يُدعى انكاف على ضفّتيه قطع الحطب المتكسر الساقط من اشجار الغابات المجاورة فسارت الفتيات الثلاث وجمعن منهُ ما تيسّر لهنَّ الى ان اصبن منهُ كمّية اوفر عند صخور هناك اسمها صخور مسابيال فاسرعت حنّة ومريم الى قطع جدول مياه متصفعة تجري ثمَّ · وسبقتا برنادات الى جمع حزم الحطب · امّا هذه فتريّثت قليلاً واخذت تقلع حذاءها وجواربها لتتبع رفيقتيها · وهي كذلك اذ سمعت على بغتةٍ صوت ريح شديدة مع انَّ السماء كانت في ذلك اليوم رائقة ساكنة الريح فاندهشت الفتاة والتفتت الى الوراء فنظرت شجر الغاب لا تبدي حراكاً فاطمأنَّ بالها وانتهت من خلع نعليها لتقطع الماء واذا بالريح هبّت ثانية بشدّة ونور ساطع تراءى لها فوق رأسها في خلال الصخرة في شبه كوة هناك وكان في وسط النور كأنها ملتحفة به سيّدةٌ فائقة الجمال في ريعان شبابها تأخذ بمجامع القلوب وعلى محيّاها تلوح كل اسارات العزّ والجلال مع عواطف الرقّة والحنوّ وكانت متّشحة بثوب ابيض كالثلج سابغ الذيل وهي متنطّقة بنطاق ازرق مشدود في وسطها يتحدّر طرفاهُ من امامها . وكان على راسها منديل ابيض يتزل من وراء كتفيها الى ذيل ثوبها وكان على ذراعها الايمن سبحة الوردية ذات الحبوب الفضيّة اما رجلاها فلم يغطهما الثوب وانما كانت تزينهما وردتان زهيتان بلون ذهبي

حدّث ولا حرج بما اصاب الفتاة من الهلع والحيرة لدى نظرها لهذا المرأى العجيب اذ شعرت بأن قواها كادت تخور فانحنت جاثيةً وأخرجت من جيبها سبحة الصلاة لتستمد عوناً من الله في هذا الواقع الغريب · وكانت برنادات مع خوفها لا تحيد بنظرها عن تلك السيدة التي كانت تفتن قلبها بمحاسنها الفائقة لكل وصفٍ · امّا السيدة فكانت تنظر اليها بكل تعطف وحنان وتبتسم لكل حركاتها وتدعوها اليها . فانتعشت بذلك

قوى الفتاة واخذت تصلي بحرارة سبحتها والسيدة امامها حتى مرَّ عليها ربع ساعة. فحينئذٍ توارت الصورة عن عيانها وبقيت الابنة وحدها عند مسيل الماء. فقطعتهُ ولحقت برفيقتيها وهي كلها متعطرة بشذا تلك الرؤيا حتى الحّت عليها رفيقتاها بان تخبرهما ما جرى لها فقعلت وبلغ الخبر ابويها فنسبا الامر الى الوهم والتخيل فلم يعيراه بالًا

بعد ثلاثة ايام كان الاحد فاسترخصت الابنة من والدتها بان تعود الى مكان الرؤيا عند صخور مسابيال وكانت أُمها انكرت عليها ذلك غير مرة حتى لبَّت اخيرًا الى دعوتها وسمحت لها فرافقها ما خلا اختها مريم وابنة جارتها حنَّة بعضُ لداتها اللواتي سمعن بالحادث العجيب ورغبن في مشاهدة المكان الذي جرت فيهِ الرؤيا فوصلن اليهِ ولم يجدن شيئاً خارق العادة فقالت لهنَّ برنادات: دعنا نتلو سبحة العذراء. فجثون على الحضيض وجعلن يصلّين فبعد برهة قليلة تغيَّر وجه الابنة وشخصت الى المكان حيث رأت السيدة المرَّة الاولى فصرخت: ها هي ذا وأنها تنظر اليكنَّ. فكانت الفتيات يحدقنَ بابصارهنَّ ولا يرين شيئاً لكنهن تحققن بنعمة رفيقتهنَّ المغبوطة واستحررنَ بالصلاة معها. وكانت احدى رفيقاتها أتت بماء مصلى خوفاً من شرٍ يصيبهنَّ في المغارة فجعلت الماء بين يدي برنادات واوعزت اليها بان ترش منهُ على الرؤيا قائلة: «ان كنت من عند الله فهلمي» فرددتها برنادات وكانت السيدة تنظر الى فعلها بتبسُّم وبهجة وبقيت بازائها تملأ منها ابصارها وتنعم بها قلبها الى ان تمت صلاة الوردية فاحتجبت عن نظرها

انتشر خبر هذا الحادث الثاني في لورد وكان معظم الذين يسمعون بهِ يعتبرونه كفعل صبياني وكنتيجة مخيلة شديدة التأثير فاخذ الناس يتواردون الى بيت الفتاة فيسألونها عمَّا حدث لها فتخبر بالرؤيا بكل سذاجة وتقصُّ بما رأت وكل من يسمعها يقرُّ بصدقها الَّا انَّ اكثرهم كانوا يعزونهُ الى التخيلات. وكانت كلما تذهب الى مغارة مسابيال يزداد عدد الذين يتعقَّبون آثارها ليعاينوا ما يجري لها ويقفوا على صحة قولها فيعودون والسنتهم تلهج بتلك الامور الغريبة ولا يدرون كيف يؤَّلون تلك الاسرار

وفي تلك الاثناء تكرَّرت رؤى السيدة لابنة سوبيروس دفعة ثالثة في ١٨ شباط وهي المرَّة الاولى التي كلَّمت السيدة المجهولة الفتاةَ الأُميَّة وقالت لها أنها تريد ان تأتي الى المغارة هي مع الجموع الغفيرة مدَّة خمسة عشر يوماً متوالية. ففعلت برنادات ما أُمرت بهِ ولَّخبرت كل من امكنها بوصاة السيدة

فكان اليوم الاوَّل من ذينك الاسبوعين في ١٩ شباط ونهاية الأمد المعيَّن في ٤ آذار فكانت الفتاة تذهب الى مغارة مسابيال وتباشر بالصلاة مع القوم القادمين معها فلا تلبث السيدة ان تتراءى لها كما رأتها سابقًا الّا اليوم ٢٢ من شباط فانَّ الابنة لم ترَ شيئًا. وكانت السيدة في كل رؤيَة من رؤاها ترشد الفتاة فتارة تعلمها كيف تتلو صلاتها وتارة تأمرها بان تبلّغ الحضور رغبتها في توبتهم واتيانهم الى الله مع تحريضها للفتاة بان تصلي لاجل الخطأة. وفي ٢٣ شباط قالت لها السيدة بأنها ترغب ان يبني الكهنة هناك كنيسة ويحتفلوا فيها بالطوافات الدينيَّة. وفي ٢٥ منهُ دلَّتها السيدة على مكان يابس بازاء المغارة وأمرتها ان تشرب من ينبوعهِ وحيث لم يكن هناك ينبوع اخذت الابنة تحفر التراب والرمل باصابعها فنبع ماء عكر جرعت منهُ بعض جرعات ثمَّ تبجَّس الماء وما كان الماء حتى صار النبع يتدفق وجرت مياههُ الطيبة الى نهر الكاف

وفي اليوم الاخير من الاسبوعين كان عدد الحضور يربي على عشرين الفًا حضروا مع برنادات من لورد والقرى المجاورة. فكرَّرت السيدة للفتاة امرها بان تُشيَّد هناك كنيسة تجري فيها الطوافات الدينية

وكانت تفاصيل هذه الاجراءات بلغت مسامع الكهنوت فكتب الاب بيرامال خوري مدينة لورد الى اسقفهِ السيد بيرتران لورنس في مدينة تارب يعلمهُ بحوادث مغارة مسابيال ويرجوهُ بان يبيّن له الخطة التي ينبغي له الجري عليها. فكان جواب السيد بيرتران بانهُ يجب على ارباب الدين ان يجروا في ذلك بفطنة كليَّة وامر بان لا احد منهم يتظاهر البتة في تنشيط الفتاة وان يمتنعوا عن الاختلاط بالقوم المتردّدين الى المغارة ريثما يصير الفحص القانوني عن تلك الحوادث. والحقّ يقال انَّ ارباب الحكومة واعداء الكنيسة نفسهم اثنوا على حكمة الاسقف وفطنة كاهن لورد وبقيَّة الاكليروس في اثناء تلك الاحداث. وكان الاكليريكيُّون عمومًا لا يصدّقون صحتها

امَّا السلطة الحاكمة فانَّها اضطربت لوقائع لورد ايّ اضطراب لاسيا بعد أن تباحث فيها اعداء الدين وكتبة الجرائد فكانوا كانهم صوتًا واحدًا بانَّ تلك الرؤى شعوذة وخداع او على الاقل نتيجة امراض دماغيَّة او عصبيَّة في الفتاة. فأرسل المفوضون لاستنطاق الفتاة من عُمَّال الحكومة ومن نُطس الاطبَّاء ومن علماء الفيسولوجية فألقوا عليها الاسئلة ودسُّوا لسذاجتها الدسائس وفحصوا حالتها الصحيَّة فكانوا كأنهم يرجمون

خائبين خاسرين اذ لا يجدوا لها فيها غاية بشرية فلم ترغب في المال ولم تحرص على شهرة وهي ابنة امية لا تعرف الا لهجة بلدها وتصف ما رأت لا تزيد عليهِ حرفاً ولا تؤكد شيئاً مما جهلتهُ بل تجيب بلسان صادق يلوح في كل مشاعرها: لا ادري. اما مزاجها فمع ضعفهِ لم يكن مبلواً بشيءٍ من الاسقام العصبية كما ان دماغها كان سليماً لا يُرى في كلامها او حركاتها شيءٌ يدلُّ على هوس او خبال او استهواء. ولمتحنها بعضهم بالمواعيد فازدرت بهم والتجأ غيرهم الى الوعيد فوجدوها ثبتة القلب صلبة الجنان. وفحص العلماء الماء الذي تبجّس قريباً من صخور مسابيال بعد ان تحققوا من كل اهل لورد انهُ لم يكن هناك نبع البتة فوجدوا انَّ تركيب الماء كيمويّاً كتركيب كل المياه الجبليّة في جبال بيريناي وانهُ ماء طيب شروب كبقية المياه. وبعد اللتيا والتي لم يجسر عمّال الحكومة من التعرُّض للفتاة ولا للذاهبين الى المغارة اذ كان كل شيءٍ بهدوءٍ ونظام لم يحدث مطلقاً امر يكدر الراحة العموميّة

وعادت برنادات بعد ذلك مراراً الى صخور مسابيال حيث كانت تجذبها قوّة دافعةٌ لا تستطيع مقاومتها. فظهرت لها السيدة في ثاني يوم عيد الفصح في ٥ نيسان وكان في يد الفتاة شمعة مضيئة بلغ لهيبا اصابعَها فلم تشعر البتّة بالحريق طالما كانت السيدة امامها. والشهر من ذلك رؤيا يوم عيد البشارة في ٢٥ آذار من السنة حيث ألحّت الفتاة على السيدة بان تُعلن لها اسمها وكانت الى ذلك اليوم لم تجترئ لتلقي عليها هذا السؤال. فكان جواب الرؤيا بالافرنسية والابنة لم تفهم من تلك اللغة الا القليل فكرّرتهُ كما سمعتهُ دون ان تدرك معناهُ. وتعريبهُ: «أنا التي حُبل بها بلا دنس». قالت ذلك بعد ان ضمّت يديها على زيّ المصلي ووجّهت عينيها الى السماء. فلم يبق شك لاحد من الحضور أنها البتول الطاهرة مريم

والرؤيا الاخيرة التي حصلت عليها برنادات أنّما وقعت في ١٦ تموز يوم عيد سيدة الكرمل ظهرت مريم للفتاة ونظرت اليها مليًّا دون ان تكلّمها ثمّ احنت لها راسها كانها تودّعها ولم تعد تظهر لها

وكانت في مطاوي تلك الشهور قد ابتدأت المعجزات الباهرة والخوارق العجيبة تظهر عند صخور مسابيال فاخذ المرضى يتواردون الى المزار فيشربون من ماء النبع الجديد ويغتسلون فيهِ فيعود منهم قومٌ بالشفاء التام

ثم عادت السلطتان الروحية والمدنيَّة الى البحث عن تلك الامور للاستدلال على صحّتها او كذبها. أمّا السلطة الروحيَّة فان الاسقف اختار بعض افراد اكليروسهِ المتازين بفضلهم وفضيلتهم وألحق بلجنتهم بعض العالمين من اطباء وغيرهم فعقدوا لذلك الجلسات المتعدّدة واستنطقوا الفتاة وكلَّ من كان يمكنهُ ان يفيدهم عن امر الرؤى. فطال بحثهم وترويهم الى ان كاد يملُّ الناس من تدقيقهم وكثرة تفتيشهم عن حوادث عدُّوها اوضح من النور الى أن صرَّح الاسقف لورنس بعد اربع سنوات انَّ الرؤى حقيقة لاريب فيها

اما السلطة المدنيَّة فقامت وقعدت لتلك الحوادث حتى اهتمَّ لها حاكم مقاطعة بيرنداي المسمى ماسّي ووزير الاديان المسيو رولان واصدر بعض العمال امرًا ليمنع الناس من زيارة المكان ومن شرب النبع الجديد غير انَّ كل هذه المناهضات زادت الامر شيوعًا حتى صار يبحث فيه القاصي والداني وتزايدت رغبة كثيرين في معاينة المحل وكان المرضى يأتون زرافات ووحدانًا من كلّ فجٍ فيشفون حتى اضطرَّ العامل بالقضاء امرهِ وتحقَّق الحكام بانهم لا يستطيعون مقاومة ارادتهِ تعالى

ومن اعظم ما جرى حينئذٍ من الآيات شفاء ولدٍ صغيرٍ عمرهُ سنتان كان ابواهُ منذ مولدهِ يبذلان النفس والنفيس لحفظهِ في الحياة الى ان اهملهُ الاطباء آيسين من علاجهِ لسقم بنيتهِ وتراكم الاوجاع عليهِ. ففي احد الايام اذ كان ابوه ينتظر من دقيقةٍ الى أخرى ان يسلم الروح قامت أمهُ كأنهُ لاح لها برقٌ من الرجاء. فلفَّت الولد في صدرتها وخرجت مسرعة لا تلوي على شيءٍ فاتجهت نحو المغارة واقتربت من حوض النبع المنبجس حديثًا فحلَّت قماطات الولد امام الحضور وهمَّت بتغطيسهِ في ذلك الماء الصقيع. فحاول البعض ان يمنعوها وابنها على آخر رمق لئلّا تقتله بيدها فأبت صارخة: ان مريم العذراء قادرة بان تحيي ولدي. ثمَّ غطست ذلك الطفل في الحوض وابقتهُ ربع ساعة في الماء بينما كانت الصلاة تخرج من لسانها الى البتول كأسهمة النار ثمَّ اخرجتهُ وابوهُ يقول: قد مات الغلام. لكنَّ الامَّ رجعت الى بيتها بحملها الخفيف واضجعتهُ في سريرهِ وواصلت صلاتها عندهُ فما كان بعد قليل من امر الولد الّا ان تلوَّن وجههُ بالحمرة وفتح عينيهِ متبسمًا لأمهِ كأنهُ افاق من سبات عميق وقام بتمام الصحة وعاش مذ ذاك الحين بالعافية التامة. وشهد ثلاثة من نُطس الاطباء بان شفاءهُ لم يمكن تعليلهُ بسببٍ طبيعيٍّ وان غمس

طفل منازع في ماء جليدي مدّة ربع ساعة كان كافياً لقتله قتلاً وحياً. وهذا الحادث الذي جرى ثمانية ايام بعد نبوع الماء في مغارة مسابيال انتشر خبرهُ في كل ناحية كانتشار البرق. وعقبهُ بعد قليل شفاء شاب يُدعى «هنري بوسكه» كان مصاباً بقرح في ترقوتهِ يسيل منهُ القيح وايس الاطباء من علاجهِ فشفي تماماً في ٢٨ نيسان من تلك السنة بعد ان غسل بماء النبع جرحهُ العياء ففي غدِ ذلك النهار التحم اللحم ولم يعد يظهر من الجرح الّا جلبة يابسة بقيت كعلامة محسوسة لشفائهِ العجيب

فهاتان الآيتان وآيات أُخرى كثيرة أفحمت المعترضين والناكرين فصار اسم لورد كمشفى سماوي يقصدهُ ذوو العاهات لينالوا من السيدة العذراء دواء لعللهم على اختلاف اسبابها وضروب مظاهرها

وبعد ان تمّ الفحص القانوني عن صحّة تلك الرؤيا والمعجزات المتعدّدة التي ظهرت في تلك الناحية بموجب قرار من الاسقف المحلي السيد لورنس شمّر الاهلون عن ساعد الجدّ لتحقيق مرغوب العذراء الطاهرة وبناء هيكل عظيم فوق تلك الصخور. فلم يدّخر المؤمنون وسعهم في وضع اثر جليل يُعدّ كآية هندسية في عصرنا. فانتدب الرؤساء ابرع المهندسين ليخطّطوا لهم رسم كنيسة تنطق في الاجيال التالية عن شكرهم لملكة السماء. فشيّدت كنيسة فخيمة لا ينقصها شيء من البهاء والجلال بلغت نفقاتها عدّة ملايين من الفرنكات كان يتبرّع بها طيّب القلب كلُّ المسيحيين من فرنسة وبقية البلاد حتى اقصاها بعداً

ومن الحفلات البهجة التي عُقدت في السنة ١٨٦٤ في ٤ نيسان نصبُ تمثال عظيم أُقيم في مغارة لورد حيث ظهرت العذراء. وكان التمثال من الاعمال الصناعية الجميلة على هيئة السيدة كما تراءت لبرنادات وكما استطاعت الفتاة وصفها للنقّاش بعد معاينتها مراراً. وكان الحضور الذين قدموا لهذه الرتبة أُلوفاً مؤلّفة

وفي السنة ١٨٦٦ اتمّ البناة قسم الكنيسة الاسفل الذي كان كسرب يُنزل اليهِ بالدرج فجرت حفلة شائقة لتدشينهِ في ثاني يوم العنصرة من السنة ١٨٦٦ واخذ الكهنة منذ ذلك الحين يقيمون فيهِ الرتب ريثما تنتهي العمارة العليا

وكان التعبّد لسيدة لورد قد اتسع نطاقاً في تلك الاثناء بما يحدث كل يوم من الآيات العجيبة. نخصّ منها بالذكر شفاء احد مشاهير الكتبة لسه هنري لاسار الذي

شفي بغتةً من داء عياء في بصره بعد غسل عينيه بماء لورد. في ١٠ تشرين الاوَّل من السنة ١٨٦٢ فاراد بعد تلك النعمة ان يبدي شكرهُ لملكة السماء فسطَّر تاريخ سيدة لورد وكل تفاصيل ظهورها . وهو تأليف نفيس كُرّر طبعهُ نيفاً و ١٥٠ مرَّة ونُقل الى اغلب اللغات الشعوب المتمدّنة

وفي السنة ١٨٧٧ في ثاني يوم من تموُّز سمح الاب الاقدس الحبر الاعظم بيوس التاسع بوضع اكليل بهي من الحجارة الكريمة على هامة التمثال المنصوب سابقاً . وفي غد ذلك اليوم دُشّنت الكنيسة العليا على حسب الطقوس المؤثرة التي تُقام في تكريس اكبر الكنائس . وهاتان الرتبتان قام بهما احد القصاد الرسوليين الموفد من قبل كبير الاحبار مع نيافة كردينال باريس وخمسة وثلاثين مطراناً او اسقفاً وجم غفير من الشعوب لا يحصى عديدهم

وفي السنة ١٨٨٣ وُضع الحجر الاوَّل لكنيسة أخرى على اسم سيدة الوردية . فجرت اذ ذاك مشاهد تقوية قلَّ رأى مثلها الراؤون في الاعصار السابقة . وكانت تلك السنة موافقة للعام الخامس والعشرين من ظهور السيدة فقدم الى لورد عدد من الزوَّار جاوز المئات من الالوف . ولما انتهت كنيسة الوردية بعد ست سنوات تجدَّدت تلك مجالي التقى والعبادة بل زاد رونقها اذ منح عظيم الاحبار تلك الكنيسة امتيازات كنائس رومية الملكيَّة . واقام لذكر ظهور العذراء عيداً سنوياً في ١١ شباط مع تافور خاص لتدليه

على انَّ الحفلات السابقة كلها مع عزّها وجلالها ورتبها الشريفة سوف تفوق عليها المظاهرات التي يعدُّها الكاثوليك في هذه السنة الواقع فيها اليوبيل الخمسيني لظهور السيدة . وقد باشر الزوَّار منذ شهر شباط المنصرم بالسياحات التقويَّة الى لورد يقدمون اليها مع دعاتهم من كل اوب ليرجوا الغفارين والنعم التي تجود بها راس الكنيسة الاعلى بيوس العاشر . فتتمنَّى ان يكون لشرقنا العزيز لجنات خصوصية تمثّل بلادنا عند اقدام تلك التي تنبأت بان الشعوب كلها سوف تطوّبها

*

هذه خلاصة اخبار سيدة لورد غير انَّ الذي رويناهُ من تاريخ هذا المزار الشريف ليس الَّا تمهيداً الى ما هو اعظم شاناً واجلّ خطورةً فنقول:

ورث القرن التاسع عشر من خلفه الجيل الاسبق روح الزندقة والكفر فكان الطبيعيون بعد الاكتشافات المستحدثة في مواليد الكون الثلاثة قصروا نظرهم الى عالم الطبيعة لا يكادون يسلمون بحقيقة شيء يعلو طور مشاعرهم وادراكهم الحسي. وعليه نظموا اسرار البيعة ومعتقدات الدين في سلك الاوهام لأنَّ حواسهم ما كانت تدرك مثل هذه التعاليم الفائقة للعقل البشري. وكذلك المعجزات التي ترويها الكتب المنزلة وتراجم اولياء الله لانها تؤيد صحة تلك العقائد وتريح عنها برقع الريب والنكران عدَّها هؤلاء المدَّعون بالعلم أنها كلها نتيجة التخيلات او هي اعمال طبيعيَّة محضة نسبها السذَّج على زعمهم الى اسباب علوية لجهلهم بقوى الطبيعة الخفيَّة كالمغناطيس والكهرباء والسيَّالات اللطيفة

فلما ظهرت العذراء الشريفة في لورد وجرى فيها من الخوارق ما جرى وقف العلم الكاذب حائرًا مرتابًا وكان اوَّل ما فعل لمناهضة تلك الاعمال الفائقة للطبيعة انهُ التجأ الى الهزء والسخرية ظنًا منه انها شعوذة وليس لإبطال الشعوذة كالازدراء بها والاستخفاف بذويها. ألّا انَّ هذا السلاح لم يَقوَ هذه المرَّة على غلبة الحقيقة وكان عدد الشهود الاثبات الذين رأوا وسمعوا واختبروا الامور عن كثب أوفر واصدق من أن تستطيع السخرية نفي شهاداتهم

فلما حبط مسعى هؤلاء المكابرين من هذا الجانب طلبوا لهم بابًا آخر قرعوه مؤملين النجاح فاخذوا يقرّفون الفتاة بزلّات تارة ينسبونها واهلها الى الاغراض الخسيسة كالطمع في المال او الرغبة في الشهرة وتارةً يصوّرونها في اعين الناس كائنة ممنوَّة بالامراض العصبيَّة والتشويش الدماغي الى غير ذلك ممَّا سوَّلهُ لهم بغضهم للامور الفائقة للاطوار الطبيعيَّة

ألّا انَّ هذه التُهم كلها لم تثبت على التفتيش الدقيق الذي قامت بهِ الحكومة المحليَّة فكثيرًا ما امتحنوا الفتاة واهلها بالهبات الماليَّة فلم يقبلوا من ذلك ولا فلسًا وبقوا في عيشتهم الساذجة يتعاطون الفلاحة والطحانة. وكان أبوا الفتاة في مقدمة الذين عارضوها في صحَّة رؤاها ولم يقتنعا حتى لاح لهم الامر جليًا فخافا ان يقاوما ارادة الله اذا ما تعرَّضا لابنتهما. اما هذه فانَّ ارباب الدين كاهل الدولة وعمَّالها افرغوا كنانة الجهد في فحص حالتها الادبيَّة ومزاجها الطبيعي واخلاقها واستعانوا لذلك بالاطباء.

وافة العلوم فكان جوابهم بالاتفاق انّ الفتاة ذات آداب مشكورة صحيحة المزاج رصينة العقل ابيّة الخلق. وبعد ان انتهت الرؤى التي عاينتها بين شهري شباط وتموز كانت تأتي الى المغارة كغيرها من الاهلين تصلي مثلهم وتختلط معهم دون ان تطلب لنفسها امتيازاً وبقيت على بساطتها وتقاها ودماثة اخلاقها الى ان بلغت الرابعة والعشرين من سنها فدخلت وقتئذٍ اعني سنة ١٨٦٦ في دير راهبات نفار اللواتي يخدمنَ المرضى في المستشفيات وعاشت بينهنَّ عشر سنوات وهي قدوة حيّة لكل الفضائل الرهبانيّة لاسيما التواضع الذي كان يجعلها تستنكف من كل مجد فارغ او جاه زمني. وكانت وفاتها كحياتها بكل هدوءٍ وطمأنينة بالٍ وسذاجة مزوّدة بكل اسرار الكنيسة وقضت نحبها في ١٦ نيسان ١٨٧٩ في غدوة عيد الفصح حيث الكهنة يترنّمون بنشيد التهليل والانتصار كأنّ الله والسيدة العذراء ارادا ان يشركاها بالافراح السرمدية في يوم فوز ابن الله بالمجد بعد كسره لشوكة الموت. فكانت حياة برنادات ووفاتها جواباً مسكتاً لكل من تجاسر ونسب اليها شيئاً من الغايات البشريّة

لكنَّ اعداء الدين اذ راوا هذا الباب الاخر موصداً في وجههم لاسيما انَّ نبعاً جديداً كان تفجّر في محل لم يُعهد فيه الماء قبلاً ولانَّ كثيرين كانوا يجدون فيه الشفاء من عاهاتهم عدلوا عن اقوالهم السابقة الى نسبة العلاجات الى خواص المياه التي زعموا انها ذات مزايا طبيعيّة عجيبة. وقد اسلفنا انَّ ذلك الكلام رماه اصحابهُ على عواهنه وبان فسادهُ بفحص العلماء الأثبات للمياه كيموياً اذ وجدوها كبقيّة المياه الجبلية الطيبة الصافية لا تمتاز عنها في شيءٍ البتة. فانَّ العلاج بالماء ينفع في كل البلاد ولكن لا يمكنهُ في لورد وحدها ان يأتي بتلك المفاعيل الغريبة التي لا نظير لها في بقيّة انحاء المعمور

فلم يبقَ بعد ذلك لاولئك المتشدّقين الّا أن يلتجئوا الى الاستهواء فزعموا بان تلك العلاجات المذهلة المحيرة التي تجري في لورد انما سببها التأثير العظيم الذي يُصيب المرضى في لورد فيزيد رغبتهم في الشفاء ويجدد نفسهم على نوال الصحة فيحدثان الطبيعة قوى عجيبة تجعلها تغالب الامراض وتبرئ الاسقام. ذلك آخر ما وجدهُ الملحدون لنكران المعجزات ونفي القوى غير المدركة التي تظهر في لورد مفاعيلها الباهرة شاء اعداء الدين ام أبوا. لكنَّ هذا الجواب كالاجوبة السابقة لا يجديهم نفعاً لانَّ الاستهواء مهما عظمت قوّتهُ لا يعمل الّا في المصابين ببعض الآلام العصبيّة ولا يستطيع البتة في شفاء كسر

او جرح او يغيّر حالة الاعضاء فيرد اليها المفقود منها او يفتح دُملًا او يزيل ورمًا او ينظّف الدم من جراثيمه الفاسدة او يعيد لاعمى بصرهُ ولاصمّ سمعهُ اللهم الّا بعد المعالجات الطويلة الشاقة. ويا ليت شعري كيف يعمل الاستهواء في اطفال صغار لا يقدرون على فعل عقليّ. وفي لورد ترى كل يوم امراضاً متباينة من كلّ ضروب الاسقام تبرأ بمجرد الصلاة في محل ظهور العذراء او عند الطواف بالقربان الأقدس او بالاغتسال في حوض ماء الينبوع العجيب. وهذه الشفاءات ينالها الناس دون اختلاف في الاعمار كالاطفال والشيوخ والكهول او في الاديان من يهود وبروتستانت وغيرهم او في تباين العناصر والبلاد او اجناس الامراض كما سترى

ومن اغرب ما يرى في لورد ديوان طبي تشكّل منذ السنة ١٨٨٢ له اعضاء من الاطباء الرسميين الذين يعقدون جلساتٍ منظّمة في اوقات معلومة يجرون فيها فحص المرضى الواردين الى المدينة من كل اقطار المسكونة. وهذا الديوان الطبي علنيّ يمكن كلّ من شاء من الاطباء والعلماء من اي بلد او طائفة او دين كان حضور جلساتهِ وتقاريرهم نشرة تُطبع فيها نتائج فحص الاطباء وحكمهم في حالة المرضى قبل التجائهم الى البتول في مزارها او الاغتسال بنبعها ثم يفحصون المرضى بعد شفائهم ان حصل الشفاء ويقابلون بين حالتيه من مرض وشفاء دون ان يبدوا حكمًا في المعجزات تاركين ذلك الى السلطة الروحيّة ولا يكتفون به بل يواصلون المخابرات مع المرضى المبروئين مدةً سنين طويلة ليتحققوا انّ الامراض لم تَعُد تفتك باصحابها ثانيةً. وهذه النشرة الصحيّة أصبحت اليوم مجموعاً فريداً في جنسهِ لا يمكن احداً ان يطلع على مضامينها الرسمية دون ان يصرخ: انّ اصبع الله هاهنا

قال الخوري برترين في كتابهِ المعنون بتاريخ انتقادي لحوادث لورد (١): هذا جدول للاطباء الذين حضروا جلسات الديوان الطبيّ والمرضى الذين تقرّر شفاؤهم رسميًا في الخمسة عشرة سنة الاولى بعد تشكيل الديوان المذكور: بلغ عدد الاطباء الذين اختلطوا باعضاء الديوان الطبي في لورد في تلك المدة ٢٧١٢ طبيباً منهم ٤٥١ من البلاد الاجنبيّة والباقون فرنسويون: ومن جملة الاطباء ثلاثة من اساتذة مكتب

(1) **L'abbé Bertrin**: Histoire critique des événements de Lourdes. *Paris, Lecoffre.* 1905

باريس و٢٦ من اساتذة مكاتب فرنسة الاخرى و١٩ من اساتذة مكاتب البلاد الاجنبيّة و٤٨ من اطباء او جرّاحي المستشفيات العموميّة و٧٥ من اللاحقين بهؤلاء الاطبّاء والمساعدين لهم . ولكلهم شهادات صريحة نشروها بالطبع اعلنوا فيها بانّ الدكتور بواساري (Dr Boissarie) رئيس الديوان الطبي في لورد والاطباء المؤزرين له كلهم يجرون في تشخيصهم على طريقة علميّة محضة فيجب على كل عاقل ان يقبل شهاداتهم ويقطع النظر في مطالعة كتاباتهم عن كل تحمّس ديني

أما عدد المرضى الذين فحصهم هؤلاء الاطباء وتحقّقوا شفاءهم الرسمي في تلك المدّة فكان ٢٦٦٢ (هذا فضلًا عن الوفر غيرهم شفوا من اجناس الامراض دون ان يعرضوا نفوسهم على الديوان الطبي) فمنهم ٥٧١ برئوا من السلّ والتدرّن و٣٩٤ من امراض الجهاز الهضمي و٦٧ من امراض أجهزة دوران الدم و٣٩ من امراض القلب الثقيلة و٩٩ من امراض أجهزة التنفس كالبحران وذات الجنب و٤١ من ادواء معضلة في الجهاز البولي و٣٨٣ من الامراض الدماغية كالجنون وما شاكله و٩٦ من العاهات في الشوكة النخاعيّة و٩٥ من اوجاع في الهيكل العظمي ككسر العظام واعوجاجها وفسادها و١٢٨ من اوجاع المفاصل و٣١ من الامراض الجلدية و٦٩ من الدماميل القيحيّة و١٠٧ من امراض الخدار والنقرس و١٥ من داء السرطان و٢٧ من الجروح المؤذية و٣٤ من العمى او امراض البصر الخبيثة و٢٨ من الصمم التام

فهذه لعمري قائمة تنطق بلسان حالها عما يجري في مدينة لورد من القوّات التي اقرّ العلم بصحتها حتى يصحّ القول بان المعجزات الالهيّة دخلت اليوم في الطور العلمي وهو امر لا نظير له في التاريخ حتى زماننا فقام العلم الصادق يشهد بازاء العلم الكاذب انّ المعجزات ليست امرًا وهميًا مبنيًا على الخيال والوهم كما كان يزعم بعض ارباب الغايات بل هي حقائق وضعيّة يمكن نظرها حسًا والبحث عن مفاعيلها المشهودة. وقد قلنا انّ هذه القائمة لخمس عشرة سنة فقط واليوم قد تضاعفت الشفاءات المقرّرة بشهادات الاطباء. منذ السنة ١٨٩٧ التي فيها سُردت اللائحة السابق ذكرها. وزد عليه انّ اكثر من نصف المرضى الذي برئوا من اسقامهم لم يرضوا بفحص اللجنة الطبيّة فشفوا دون ان يبوحوا بسرّهم. ثم يجب ان يُلحق بكل هؤلاء الذين نالوا الشفاء قبل تشكيل اللجنة الطبيّة اعني منذ السنة ١٨٥٨ حيث ظهرت البتول الى السنة ١٨٨٢ فيبلغ مجمل

عدد اولئك المعافين من ادوائهم عشرات الالوف. فيا لله ما اقوى هذه البينات للدلالة على صحة الدين وصدق المعجزات وآيات الله في خلقهِ

وكل ذلك فضلًا عمن شفتهم سيدة لورد خارجًا عن مزارها في كل بلاد الله وعددهم ليس بالقليل. وذلك امَّا بنعمة ماء نبع لورد الذي يرسل اليهم وامَّا بتعبُّد خاصّ لبعض تماثيلها كما جرى في كنيسة الرهبان المعروفين بالكرجيين (Géorgiens) في الاستانة العليَّة فانَّ هناك معبدًا باسم سيدة لورد حدثت فيهِ شفايات غريبة لمرضى وزمنى من كل الطوائف والاديان وقد كثرت حتى جمع تاريخها احد العلماء الفرنسويين سنة ١٨٨٦ (١

هذا ولسنا نزعم انَّ كلَّ المرضى الذين يذهبون الى لورد او يتوسلون الى شفاعة مريم العذراء فيها يبرأون. كلَّا ثمَّ كلَّا. فانَّ السيدة البتول تشفي من تشاء ومتى تشاء وكيفما تشاء. وعلمنا ان بعض ذوي العاهات لم ينالوا العلاج من دائهم الَّا بعد الزمن الطويل او بعد زيارة لورد مرارًا متعدّدة كأنَّ البتول ارادت ان تزيدهم ايمانًا. ومنهم من لم تجبهم البتَّة رغمًا عن ايمانهم الحيّ وثقتهم التامة لعلمها بما هو انسب لنفسهم واجدى نفعًا بخلاصهم فربما كانت صحة الجسد سببًا لهلاك النفس فهؤلاء لم تجب العذراء الى ملتمسهم بل تعوّضهم من مقصودهم خيرًا افضل وأليق بحالهم

والحقّ يقال انَّ سيدة لورد شفت من المبتلين باوجاع النفس وامراض الروح اكثر ممن نجتهم من ادواء الجسد فانَّ في لورد وجد كثيرون من الخطأة والكفرة العتق من ربقة آثامهم والنجاة من اغلال كفرهم حتى اصبحت تلك المدينة اليوم كمستوقد النار يأتي اليهِ كل من برد قلبهُ بحبّ الارض ليضرمهُ بحب الآخرة وكالمنارة الموضوعة فوق جبل شاهق يستضيء بها المتسكعون في ظلمة الاضاليل وكالقلب في جسم المسكونة تجري منهُ الدماء المحيية الى اقاصي المعمور لتحيي الشعوب وتجذبهم الى خالقهم الذي لهُ وحدهُ العزّ والثناء الى منتهى الدهور

٢ تدشين تمثال العذراء في لبنان

هو الواقع الثاني الذي قصدنا استيقاف الابصار اليهِ وعلاقتهُ مع الامر السابق بيّنة

(١ وهذا اسم الكتاب Notre Dame de Lourdes à Constantinople. *Paris*, 1886

جليّة. قد عُرف لبنان واهلهُ منذ سالف الاعصار بتعبُّدهم الخالص لوالدة الاله التي اتخذوها لهم كشفيعة وحامية في كل ضيقاتهم حتى كاد يرضع صغارهم حبها مع حليب الامهات. ولو لم نجد شاهدًا آخر على قولنا غير المعابد المتعددة التي تُكرَّم فيها السيدة البتول في كل انحاء لبنان بل في كل قرية من قراه تحت اسماء وألقاب غاية في الرقة والتفنن كسيدة البرج وسيدة الحصن وسيدة الحقلة وسيدة الزروع وسيدة النجاة وسيدة التلة وسيدة البزاز الخ لكان ذلك دليلًا كافيًا على صدق قولنا (١

وقد اعتبرت الكنيسة الجامعة نفسها لبنان كأحد اقداس البتول والمقامات التي ترتاح فيها السيدة الطاهرة الى عبادة المؤمنين. وكأنها رأت بين ذلك الجبل والعذراء الجليلة اشباهًا متعددة ذكرتها في كتبها الطقسية وألمح اليها الآباء في كتاباتهم. ولا غرو فان الكنيسة والآباء وجدوا في الاسفار المقدَّسة اوصافًا للبنان تنطبق مع كمالات البتول المجيدة فاستعاروها لمديح مريم فتارةً يخصُّون باطرائها ما يقوله الكتاب في مفاخر لبنان كقول اشعيا (٣٥:٢): «قد أُوتيتِ مجد لبنان» وقوله (٦٠:١٣): «مجد لبنان يأتي اليكِ» وتارة ينسبون الى فضائلها روائح لبنان العطرية التي يعظمها الروح القدس في سفر نشيد الاناشيد (٤:١١) ونبوءة هوشع (١٤:٧) وطورًا يشيدون بها. شخصها ويمارضونهُ بجمال زهور لبنان (نحوم ١:٤) او بنشوة خمره الطيبة (هوشع ١٤:٨) وآونةً يعظّمون قدرتها كقوة السيول المنحدرة من لبنان (النشيد ٤:١٥) او كطوده الشامخ الناطح برؤوسه عنان السماء (المزمور ٧١:١٦) وكثيرًا ما كرّروا على مثال الاسفار المنزلة ذكر ثلج لبنان (ارميا ١٨:١٤) وارزه الشهير (المزامير ٢٨:٥ و٩١:١٤ وابن سيراخ ٢٤:١٧وحزقيال ١٧:٣) فشبهوا بالاول طهارة البتول وخلوّها من اثر كل دنس وخطإ. وبالثاني عزّها وطيب عرفها وصبرها على الزمان دون فساد حتى دعوها بأرزة لبنان واضحى ذلك كاحد الالقاب المميّزة لها

على انَّ هذه المناقب التي قرَّبت لبنان من مريم واستعطفت انظار مريم الى لبنان بقيت مكتومة في قلوب اهل ذلك الجبل وفي باطن كنائسهم كما يتجلّى الملك لاهل رعيّته في داخل بلاطه فيتقبّل منهم مظاهر اكرامهم وفرائض تعبُّدهم. على انَّ للملوك مواقف

١) اطلب الكتاب الذي انجز طبعه حديثًا حضرة الاب غودار اليسوعي في مزارات العذراء في لبنان (J. Goudard: *La Sainte Vierge au Liban*)

أخرى يظهرون فيها لشعوبهم علانيةً بعلّ عزهم وشرفهم لا يحجبهم عنهم حاجب يرون اهل بلادهم و يراهم هؤلاء فتتبادل بينهم مجالي الحبّ وتتوثق عُرى الاتحاد

ومما وضعهُ المسيحيون لهذه الغاية السامية في بلاد متعددة انهم اختاروا رؤوس جبالهم ليقيموا في مشارفها تماثيل فخيمة للعذراء ليقع من ثمَّ نظرها الوالدي على جميع اطراف البلاد فتصونها من كل المصائب والاضرار. وكان لبنان حتى اليوم خلواً من تمثال كهذا يكون لهُ كحربة الصاعقة تردّ عنهُ كل الآفات والبلايا

فلما كانت السنة ١٩٠٤ وفيها وقع يوبيل العام الخمسين لإعلان قضيَّة الحبل بلا دنس رأى غبطة بطريرك الطائفة المارونيَّة الجليلة مار الياس الحويك الكلي الطوبى والجزيل الاحترام ونيافة الطيب الذكر المثلث الرحمات السيد كرلوس دوڤال القاصد الرسوليّ على سوريَّة ان يخلدا ذكر تلك السنة المباركة باقامة اثر خطير في لبنان ألا وهو تمثال عظيم يقام في مكان مرتفع ويكون هناك كمنار على علم يراه الناظر حيثما سار

وممن سعوا في اخراج هذا الفكر الصالح الى عالم الوجود حضرة الاب الفاضل الهمام لوسيان كاتين رئيس رسالتنا السوريَّة وحضرة الاب بيره كاتب اسرار القصادة الرسوليَّة سابقاً ورئيس الرسالة الدومينيكيَّة حالاً في بلاد ما بين النهرين فعُقدت لذلك الاجتماعات وتعيَّنت لجنة من السيدات الكريمات في البلدة لجمع النفقات الكافية لهذا المشروع. ولا حاجة الى تعداد كل ما ابداهُ الاهلون في بيروت وجهات لبنان من الاريحيَّة والحميَّة الدينية في بلوغ تلك الغاية الشريفة تاركين لهُ تعالى الذي لا يدع كاس الماء البارد المعطى باسمهِ دون جزاء أن يكافئ بفيض نعمهِ كلَّ من تبرَّع بمالهِ لهذا المقصود كثيراً كان او قليلاً ونحن نعرف انَّ فلس الارملة الفقيرة كثير في عين ذلك الذي يرى القلب قبل الهبة والنيَّة قبل العطاء

وما يمكننا التصريح بهِ انَّ التمثال مع البناية التي هي تحتهُ كلَّف نحو خمسين الفاً من الفرنكات جُمع منها النصف من هبات المحسنين في هذه البلاد وتبرعت بالقسم الآخر ايدٍ كريمة طلبت ان تبقى مجهولةً لئلا يُبخس جزاؤها عند الله. أما المكان الذي شُيِّد فيهِ الاثر فقد قدَّمهُ مشاطرةً لهذا العمل المبرور غبطة السيد البطريرك ونيافة القاصد الرسولي

وشخص البتول الطاهرة ليس هو كشخص سيدة لورد وانما هو ممثل لدمية اخرى من دُمى سيدة الحبل بلا دنس فهو على هيئة صورتها التي ظهرت فيها سنة ١٨٣٠ لراهبة المحبة كاترين لابوره في باريس وحولها هذا الدعاء: «يا مريم البرئية من الخطيئة الاصلية صلي لاجلنا نحن الملتجئين اليك (١)» فتوافق اذن كل الموافقة يوبيل اعلان عقيدة الحبل بلا دنس ويوبيل هذه السنة اذ كان ظهور العذراء الطاهرة في لورد لتأييد تلك العقيدة عينها. وهذا التمثال غاية في الورع والبهاء والجمال تلوح منهُ لوائح العفاف والجلال الملكيّ

وقد سبك هذا التمثال احد معامل فرنسة يتولّاهُ المسيو دوران (Durenne) من اقارب فقيد الرسالة اللعازريّة الطيب الذكر الاب فرنسيس بوفي وقد قام بهذا العلم احسن قيام ورضي في حقهِ بما هو دون قيمتهِ جودًا وكرماً وقد جملة ١٢ قطعة وثقلهُ ١٤,٠٠٠ كيلو وبلغ محمولهُ مع صناديقهِ عشرين طناً وهو الذي عُني بارسالهِ الى بيروت فوصلها تامًّا صحيحاً

وكان نقل هذه القطع الثقيلة من المركب الى البرّ يقتضي تعباً شاقًا الّا انَّ همة مدير المرسى العام المسيو بورگان (Mr Bourgain) ونائبهِ في اشغال المينا المسيو فلامان (Mr Flamand) قويت على كل المصاعب وأنزلت الصناديق سليمة صحيحة.

ولَّا علم الأسوف عليهِ صاحب الدولة مظفَّر باشا بان التمثال على رصيف بيروت ارسل تلغرافيًا الى الاستانة العليَّة يطلب من المرجع الاعلى الرخصة بادخالهِ الى لبنان فتلطَّفت الحضرة العليَّة السلطانيَّة حفظها الله واعانت بارادتها السنيَّة بان تجري لذلك كل التسهيلات اللازمة. ثمَّ نُقلت الصناديق الى محطَّة صربا على ثلاثة قطارات ومنها جرُّها على عربات ضخمة عشرون رأساً من الخيل في اواخر تموز من السنة ١٩٠٦

وكان في تلك الاثناء جناب المهندس الفرنسويّ البارع المسيو جيو (Giot) قد وضع رسماً للبناية التي فوقها يُنصب التمثال. وما هذه البناية غير معبد لطيف ذي سعة كافية لنحو مئتي شخص طولهُ ثمانية امتار في مثلها عرضاً ولهُ مدخل سعتهُ خمسة امتار طولًا في مثلها عرضاً. واذا دُهن ونقش وتمت زينتهُ يكون من اجمل معابد لبنان

---

١) راجع في المشرق (٤:١٠٢٦) خبر هذه الرؤيا بتفاصيلها لاحد اساتذة مدرسة عين طورة الناصرة

وأدعاها الى العبادة والتقى. وعلو هذا البناء ٢٢ مترًا وهو على شكل مخروط وسوف يُزيَّن خارجهُ بانواع النبات وضروب الازهار فيصبح أنسب موطن لعذراء التي تجعل الكنيسة على لسانها قول سفر النشيد (٢: ٥): «أسندوني بازهار الروض».

وقد تمَّ هذا البناء في اوائل السنة الجارية بهمَّة الفاضل ابراهيم افندي مخلوف. ثمَّ نُصب التمثال فوقهُ فكان علوّ المشهد كلهِ لا يقل من ٣٧ ذراعًا يُرى على بُعد خمس ساعات. وقد جُعل وجه البتول مائلًا الى جهة بيروت لتبارك تلك المدينة خصوصًا اذ هي مركز الولاية ومرسى لبنان وفيها الممثلون لكل الطوائف المسيحيَّة الشرقيَّة والغربيَّة

ومن يتوقَّل الى مقام هذا الاثر الجليل يتحقَّق انَّهُ قلما يوجد في انحاء المعمور مكان مثل هذا جامعٌ لكل محاسن الطبيعة فكأن السماء والارض والبحر توافقت في زخرفتهِ وتنسيقهِ بالبدائع وقد اجتمعت فيهِ طرائف الاعمال البشريَّة مع كل مباهج الكون. فنعم العرش الفخيم لتلك التي ندعوها في صلواتنا «سلطانة السماوات والارض». وحول هذا العرش السامي لبنان بآكامهِ الخضراء ومناظرهِ الفتانة وثاويه القرَّاء مع عدد من القرى الزهيَّة والاديرة العامرة للموارنة والروم الكاثوليك والمقامات الشريفة للبطريركات الشرقيَّة الكاثوليكية كبكركي للموارنة والشرفة للسريان وبزمّار للارمن فتحققت نبوَّة البتول بانَّ الشعوب كلها تجاهر بتطويبها

امَّا حفلة تدشين هذا التمثال والمعبد الذي في اسفلهِ فانَّها قد جرت بأبَّهة وعظمة لا نحاول هنا وصفها لما يقتضيهِ الامر من طول الشرح وانَّما نُحيل القرَّاء الى ما كتبتهُ في ذلك جميع الجرائد الوطنيَّة وفي مقدَّمتها جريدتنا البشير فانَّ هناك من التفاصيل الشائقة ما يبهج القلب ويفعم الصدر رجاء وحبًّا. وناهيك القول بانَّ هذه الحفلات التي لا تبرح من ذاكرة الذين شاهدوها قد ترأسها غبطة السيد البطريرك الذي رأى عند قدمي البتول لبنان كلهُ مجتمعًا معلنًا بإيمانهِ المستقيم ومعترفًا بفضل السيدة التي حفظتهُ بعينها الساهرة من كل الشرور في طول الاجيال وقد احتفل غبطتهُ بقداس حبري يكتنفهُ سيادة اساقفة طائفتهِ الاجلاء. ثم ألقى خطبة نفيسة في محامد سيدة لبنان استفزَّت لها الارواح وطربت الالباب

وهناك ايضًا قد تصدَّر نيافة القاصد الرسولي السامي الشرف السيد فريديانو

جيانيني شاكرًا لله على انهُ مكنهُ من مشاهدة هذا الاثر الجليل بعد ان كدَّ وجدَّ في انجاز نيات سلفهِ المبرور فجازاه الله بنظرهِ تمًّا كاملًا مع قربهِ من دار القصادة الرسوليَّة في لبنان حيث تسكب البتول فيض نعمها على نوَّاب الكرسي الرسولي وتقوّيهم على رفع شان الكنيسة الرومانيَّة وتعزيز الدين الكاثوليكي المستقيم في شرقنا العزيز

وقد قام نيافتهُ بتدشين المعبد والتمثال على وفق الرتبة المقرَّرة في الكتب الطقسية فطاف بالمعبد مصليًا ورقي الى اوج المنارة حيث شخصُ البتول فباركهُ ونضحهُ بالماء المصلَّى وطلب الى العذراء ان يكون ذلك المقام معدن نعمة وبركات على كلّ من يؤمهُ زائرًا

وقد كان سيادتهُ سبق وارسل الى الاعتاب الرسولية رسالةً برقية يعلم بها قداسة الحبر الاعظم بالحفلة التي اتفق مع غبطة السيد البطريرك على عقدها في ذروة لبنان. فاجاب نيافة الكردينال ماري دلفال كاتم اسرار قداستهِ بنبإ برقيّ انَّ امام الاحبار يشكر ويبارك زعماء تلك الحفلة والاكليروسين اللاتينيّ والشرقي والشعب كلهُ

وكان الكرسيّ الرسولي بايعاز سيادة القاصد تكرَّم بمنح نعمة أخرى لمقام سيدة لبنان وهي: ١ً غفران كامل على الشروط المعلومة (اي الاعتراف بالخطايا وتناول القربان الاقدس والصلاة على نيات الحبر الاعظم: يربحهُ اوَّلًا كل من يزور معبد سيدة لبنان يوم التدشين وثانيًا الجموع التي تتقدم الى زيارة هـذا المقام في ايّ يوم كان من ايام السنة. ٢ً غفران غير كامل سبع سنين وسبع اربعينيات ينالهُ كل زائر يزور المعبد بشواعر التقوى والعبادة وذلك في كل يوم من ايام السنة. فلا نلبث ان شاء الله ان نسمع قريبًا بتوارد اهل لبنان الى هذا المقام الجليل فيجاهروا بتعبُّدهم المألوف نحو والدة الاله وشفيعة جبلهم المبارك لتفيض عليهم ينابيع نعمها وتصونهم من كل اضرار النفس والجسد. امين اللهمَّ امين

ونختم هذه الاسطر بذكر الكتابة اللاتينية التي نُقشت على رخام وجُعلت في جدار داخل المعبد الجديد وهي ملخص ما رويناهُ في الصفحات السابقة:

Cui gloria Libani data est per saecula
B. M. V. Deiparæ Immaculatæ
Hoc monumentum
L^mo a pontificia definitione anno recurrente
Communi consilio inceptum
Delegatio Apostolica Syriæ
Atque Antiochenus Syro-Maronitarum Patriarchatus
Ad finem feliciter perductum
Ex voto dedicarunt
Solemniterque consecrarunt
Anno Domini MCMVIII
L^mo tum ab apparitionibus ad oppidum Lourdes
Tum ab initio Sanctissimi Patris
Pii Papæ X Sacerdotii.

(تعريبه) كُرِّست هذا الاثر الديني نيابة سورية الرسولية والبطريركية المارونية الانطاكية بعد اتفاق كلتيهما على المباشرة به وانجازهما له باليمن والسعد فاوقفتاه نذرًا لمن أوتيت مجد لبنان الطوباوية مريم العذراء والدة الله البريئة من كل عيب في السنة الخمسين من تحديد الحبر الروماني لعقيدة الحبل بلا دنس واحتفلتا بتدشينه في السنة المسيحية ١٩٠٨ الموافقة للعام الخمسين من ظهور السيدة في لورد ومن كهنوت الاب الاقدس بيوس العاشر

الى سيدة لبنان

أيا جَبَلَ الله الجليل ألا افتخرْ   بمريمَ أمِّ الربِّ مالكةِ القدسِ
أتتكَ بثوبٍ شبهِ ثلجك طاهرٍ   وحسنٍ بلا مثلٍ يفوقُ على الشمسِ
لها عَرفُ فضلٍ فوق زنبقك البهي   تعطِّرُ ارواحَ الملائكِ والانسِ
تمدُّ يديها بالهبات لمن يشا   فحاشا لأمٍ أن تخيّب ذا البؤسِ
فهيّا بني لبنان أمّوا لذا الحمى   تنالوا مُنى الدارَين للجسم والنفسِ

العرس الفضي للمكتب الفرنسويّ الطبي

للاب موريس كولنجت اليسوعي وللدكتور هنري نكر

من اساتذة المكتب الفرنسوي الطبي

دخل مكتبنا الطبي الفرنسويّ في العام الخامس والعشرين لانشائهِ . فلم يشأ مديروه الافاضل ان يدعوا هذه الفرصة دون اقامة عيد خصوصيّ يكون في تاريخ هذا المكتب كختام الطور الاوَّل من حياتهِ ومُفتتح طور جديد لمستقبلهِ على مثال البيوتات الكريمة التي تقيم الأفراح بعد مرور ربع قرن على نشأة أُسرها فتدعو ذلك الموسم بالعرس الفضيّ تفاؤُلًا ببلوغها الى ما هو اعزّ وأرقى شأنًا اي العرس الذهبيّ . واوَّل ما يحقّ علينا الشكرُ الحميم للمولى الوهَّاب الذي في هذه المدَّة كلها افاض على هذا العمل سجال فضلهِ وسوابغ نعمهِ فرقَّاهُ من حضيضهِ الى المقام الذي اصابهُ اليوم فلا زالت عينهُ اليقظى ترعاهُ ويدهُ القديرة تكلأُهُ من مكايد الزمان . ثمَّ نرفع الى العرش الحميدي السامي أيدهُ الله فرائض الاكرام والعرفان بالجميل لما نالهُ المكتب الطبي من ألطاف الحضرة العليَّة الشاهانية من الامتيازات التي اعلت قدرهُ وجعلتهُ في مقام ترنو اليهِ الابصار وتطمح اليهِ الآمال . جعل الله ايام المتبوع الاعظم في دوائر السعد دائرة وفي افلاك العزّ سائرة ما كرَّ زمان وتوالى الملوان . كما أنَّا نقدّم للحكومة الفرنسويَّة واجبات الشكر اذ لم تنفك عن شمول هذا المكتب بنظرها فانهُ من اكبر الشواهد على فضلها في جهات الشرق بلَّغها الله امانيها الطيبة وصانها من كل آفات الدهر

ولا ريب في أنَّ الاهلين يحبّون ان يطَّلعوا على مجمل اعمال هذا المكتب في مدَّة ذلك ربع الجيل ليقفوا على بعض تفاصيل اخباره فيشاركونا في تأدية الشكر الى صاحب كلّ نعمةٍ واحسان مع رفع اكفّ الدعاء اليهِ تعالى ليديم عليهِ آثار جودهِ اذ انَّ هذا المشروع لا غاية لهُ سوى مجدهِ عزَّ وجلَّ بنفع البلاد وخدمة العباد

*

﴿ تاريخ المكتب ﴾ كان ظهور المكتب الطبي الفرنسويّ في بيروت في

خريف سنة ١٨٨٣ بعد ان اتُّفق على فتحهِ حضرة الاب ريجي نورمان رئيس الرسالة السوريَّة ووزراء الدولة الفرنسويَّة مع مصادقة الدولة العلية . وكان من اكبر السعاة بهذا الامر زعيم الحكومة الفرنسويَّة المسيو لاون غمباتا ووزراء الخارجيَّة سنت هيلار ودوكلار وجول فرّي وغوبله وكلهم معروفون بميلهم الى معاكسة الدين في وطنهم الّا انهم رأوا في هذا المشروع شرفًا لبلادهم وخدمةً للانسانيَّة بتهذيب اطبَّاء نطاسيين لا يجهلون شيئًا من اسرار الاكتشافات الحديثة لعلاج المرضى وحفظ الصحة العموميَّة

نشأ المكتب الطبيّ صغيرًا حقيرًا شأن كلّ المواليد الطبيعيَّة ولم يعلم الناس ما يكون من امر هذا الطفل الرضيع أيقوى على صروف الدهر ام لا وكان بعض كهَّان السوء يرون ان المولود لا يعيش مع ما يتهدَّدهُ من المصائب والآفات وجاهروا بسوء ظنّهم فيهِ وتهكَّموا بمنشئيهِ . لكنَّ هؤلاء وجدوا في نائب المسيح قداسة الطيب الذكر ودجل العصر لاون الثالث عشر ما وطد آمالهم فكرَّروا أمامهُ كلمة بطرس الى سيّدهِ لمَّا امرهُ بصيد الاسماك : « بكلمتك القي الشبكة »

وكان افتتاح المدارس الاولى في بناء لاحق بكليَّة القديس يوسف ليس فيهِ غير حجرتين واسعتين يصل بينهما رواق مسقَّف وكان عدد المعلمين اربعة بين يسوعيين ودكاترة عالميين وكان التلامذة تسعة فقط منهم اثنان للصيدلة والبقيَّة للطب

امَّا رئاسة المكتب فكانت ولم تزل في ايدي آباء الرهبانية اليسوعيَّة . على انَّ هذه الرئاسة كان يتقلَّدها رئيس الرسالة العام او رئيس المدرسة الكليَّة . وهم اربعة من السنة ١٨٨٣ الى ١٨٩٥ اعني بهم الاباء يليان هنري وبيار لوفاڤر وفرنسوا تيراس واتيان كلاره . واتخذوا لهم منذ السنة الثانية ١٨٨٤ مساعدًا باسم كنشليار لتدبير امور المدرسة والعناية بادارتها والاهتمام بكل شؤون اساتذتها وطلبتها . فتولى هذه الرتبة الاباء هيپوليت مرسليه (مرتين) وادوار دي جيغور ويوسف اوتفاج . ثمَّ ضبط ازمَّة الرئاسة وتدبير المكتب الطبي معًا حضرة الاب لوسيان كاتين من السنة ١٨٩٥ الى السنة الجارية . ولكل هؤلاء الرؤساء من الآثار الحسنة التي تنطق بفضلهم حتى الان . لكنَّ للرئيس الحالي من ذلك ما يفوق على كل ما سبق اليهِ اسلافهُ كما تشهد عليهِ الاعمال العديدة التي قام باعبائها

تلك كانت حبَّة الخردل التي زُرعت في العام الاوَّل سنة ١٨٨٣ . ومن يعارض

حالتها اليوم بحالتها في تلك السنة وجد انّ تلك الحبّة اضحت شجرة باسقة الاغصان وارفة الاظلال تأوي اليها طيور تتبـل اليها من كل وجوه السماء. فيعرف بهذه المقابلة نموّها العجيب. على انّ هذا الترقي ليس هو بعمل يوم واحد وانّما هو نتيجة خمس وعشرين سنة من كل ضروب الاتعاب ومجموع المساعي ووحدة الهمم المتواصلة التي لم ينقطع عنها طرفة عين اصحاب هذا المكتب الطبي

وما لا يسعنا السكوت عنهُ انّ قناصل الدولة الفرنسويّة. الفخيمة في الثغر استفرغوا الوسع في تعزيز هذا المشروع وترقيتهِ في معارج الفلاح والتقدُّم مباشرة بالسريّ الامجد المسيو باتريمونيو ثم الوجوه الافاضل دي بيتيتيل ثمّ غويو ثمّ سان رنه تليانديه ثمّ جوليه ثمّ سوار ثم بوبو ديكوتور ثمّ دي سرسه والقنصل الثاني بيان ثمّ سعادة القنصل الحالي فوك دوپرك. وبكلهم تقارير قدّموها لوزارة الخارجيّة في فرنسة تصرّح بنجاح المكتب الطبي ونتائجهِ المشكورة لخدمة الوطن

وكذلك الوكلاء الذين كانت الدولة الفرنسويّة تعيّنهم لنظارة المدرسة وبيان احوالها قد اثنوا بصوت واحد على تقدُّم المكتب الطبي وسعوا طاقة جهدهم في توسيع نطاقهِ وتنظيم بعض فروعهِ وتجهيزهِ بكل الادوات للقيام بلوازمهِ لئلّا ينقص شيئاً عن مكاتب الطب الكبرى في حواضر اوربّة

وكانت السنون الثلاث الاولى سني درسٍ واجتهاد يسعى المعلمون والطلبة في تحقيق الآمال المبنية عليهم وقلوبهم مع ذلك تتنازعها العوامل المتباينة من نجاح المكتب او حبوطهِ. وكان عدد الاساتذة في السنة الثالثة قد بلغ التسعة . منهم ثلاثة يسوعيّون والباقون عالميّون. أمّا الطلبة فبلغوا ٢٨ ما خلا ٧ طالبي الصيدلة

وممّا انهض آمال المكتب في السنة الرابعة انّ الدولة الفرنسويّة ارسلت لجنتها لأوّل مرّة لفحص التلامذة وكان رئيسها الدكتور ڤيلجان (Villejean) فسُرّ اعضاء اللجنة ايّ سرور من نجاح الطلبة ومنحوهم الشهادة الطبيّة وطلبوا الى الوزارة بان تمنح المكتب امتيازات ونعماً جديدة فاجابت الحكومة الى ملتمسهم وجعلت هيئة التعليم كما في مكاتب اوربّة العليا وقضت بان تكون الدروس اربع سنوات لكل الطلبة دون تمييز. ومن نعمها *أنها نظّمت ايضاً الدروس الصيدليّة* وعيّنت شروطها وادخلتها في سلك المكتب الطبيّ بعد ان كانت ملحقة بهِ لا يُعلم أتكون اختياريّة دون شهادة

رسميَّة لم تُفضِ تماماً. وكان الدكتور رمي (Rémy) رئيس اللجنة الثالثة عضد بكل قوَّته هذا المشروع ففاز به سنة ١٨٨٨

على انَّ الشهادة الطبيَّة الممنوحة من المكتب الفرنسويّ ما كانت لتنفع اصحابها وتجيز لهم مزاولة مهنتهم الَّا بان تُصادق عليها الدولة العليَّة فجرت المخابرات في ذلك بين الدولة العليَّة والحكومة الفرنسوية وبعد امتحانات شتى لم تأتِ بنتيجة مرضيَّة صار القرار بين الدولتين بان كلًّا منهما تُرسل لجنةً من الفاحصين كلَّ سنة فتمنح الشهادة لمستحقيها على سواء. فكان هذا الوفاق مدعاةً لشكر الاساتذة والطلبة يعدُّونهُ من كبر النعم التي خوَّلتها الحضرة العليَّة السلطانيَّة للمكتب الطبيّ الفرنسويّ. وقد بوشر بهذا النظام لاوَّل مرَّة في ١٥ شباط ١٨٩٦ فتشرَّف المكتب مذ ذلك الحين بزيارة ابرع اساتذة المكتب السلطاني الافخم كاصحاب الدولة مزهر باشا وخير الدين باشا وشاكر باشا ومحمود باشا حقي واصحاب السعادة خيري بك رفعت ومصطفى بك شوقي واسماعيل بك جلال وتوفيق بك واجد وخالد بك وفخري بك ويوسف بك رامي واسعد بك درويش واسماعيل بك وعلي بك. وكان تحضر اللجنتان فتستقبلهما عمدة المكتب استقبالًا غاية في البهجة فتصدح الموسيقى بالنشيد الحميدي والنشيد الفرنسويّ واذا تمَّت جلسات الفحص تُعقد حفلة شائقة يتصدَّرها القنصل الفرنسوي فتعلن امام اللجنتين اسماء الذين استحقُّوا الشهادة فتوزَّع عليهم وألسنتهم تلهج بالدعاء للمتبوع الاعظم وثبات عرش جلالتهِ مخلَّدًا

وها عشر سنوات قد مرَّت على انشاء هذا النظام الذي ازال كل العقبات في سبيل طلبة المكتب الطبي ففتح لهم طريقاً واسعاً لبلوغ امانيهم. ومذ ذاك الحين تقرَّر ايضاً سياق الدروس وزاد إقبال الطلبة على المكتب المذكور فتواردوا اليهِ من كل ولايات الدولة العليَّة لا بل من كل الجهات المجاورة لها كالعجم واليونان ورومانية

وممَّا اجداهُ نفعاً انشاء مكتب اعدادي منذ سنتين يتهيَّأ فيه طلبة الطبّ بالدروس الثانويَّة التي تؤهلهم لاحراز العلوم الطبيَّة كاتقان لغة التدريس اي اللغة الفرنسويَّة ودرس اصول المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعيَّة والرياضيات وكل ما من شأنهِ ان يمهّد عقول الشبيبة لدرس الطبّ ومباحثهِ وهذه السنة الثانية لانشاء هذا المكتب الاعدادي الذي نجح نجاحاً جاوز الآمال وطلبتهُ هذا العام ٤٠. ومن منافعهِ توحيد قوى التلامذة

وترشيحهم للطب على طريقة متناسبة بعد ان تلقَّوا الدروس في مدارس متعددة تختلف اسلوباً ونظاماً ومواد تدريس

❁ دروس المكتب الطبي ❁ كان الطب قديماً ينحصر في امور قليلة اخصّها: درس الجسم البشري ومعرفة ما يعتريه من العاهات ثمَّ البحث عن الطرائق العلاجيَّة لشفاء تلك العلل. ومنذ توقّق ارباب الطبيعة الى الاكتشافات الجديدة بواسطة المجاهر المكبّرة وبمعرفة العوامل المجهولة سابقاً كالنور والكهرباء وبالوصول الى تركيب الادوية الآليَّة وغير الآليَّة قد انفتحت للاطباء ابواب جديدة لا تُدحة لهم من ورودها . ودونك اخصّ العلوم التي ينبغي لطلبة الطبابة درسها وقد تعيَّن لكلها اساتذة متضلّعون في مكتبنا الطبي

١ (علم الابدان وتركيبها) يقتضي هذا العلم معرفة تامَّة للجسم البشري وبنيه وتركيب اعضائه ودرس كل عضو بمفرده وما يتألّف منهُ من عظام ولحم وغضاريف وعروق وشرايين الى غير ذلك من العناصر . وهذا العلم يُدعى ايضاً بعلم الاناتوميا او تشريح الاعضاء

٢ (علم تركيب العظام) ويدعى ايستولوجيا هو علم مستجد تفرَّع من العلم السابق وصار مستقلاً بذاته مذ بيَّنت النظارات المكبّرة مركبات العظام وألياتها وخلاياها الاوليَّة ونموّها وعللها الطارئة عليها

٣ (علم قيام الحياة) وهو الفيسيولوجيا يبحث عن الظاهر الحيويَّة التي تُرى في الحيوان عموماً وفي الانسان خصوصاً ويشمل وظائف الاجهزة افراداً واجمالاً في قوام الحياة وحفظها وتنميتها . وهو ايضاً من فروع علم الابدان المستحدثة

٤ (الطبابة) غايتها درس الامراض الباطنة التي تصيب البدن وما يلحق بذلك من تشخيص المرض ومعرفة اسبابه ومناعيله وطرائق علاجه . وتُعرف بعلم الباثولوجية الذي ينقسم الى علمين الباثولوجية الباطنة والباثولوجية الخارجية

٥ (الجراحة) اي معالجة الجروح كانت سابقاً تُضمّ الى الطبابة وهي اليوم مستقلّة بذاتها لوفرة الوسائل الجديدة لشفاء الجروح واجراء العمليات الخطيرة التي ما كانت لتدور على خلد القدماء .

٦ (علم الادوية) وهو ايضاً من فروع علم الطبابة الذي تفرَّد عنها بعد

اكتشافات الازمنة الاخيرة ليعلم به خواص كل دواء وطريقة استعماله في الادواء.

٧ (علوم النبات والحيوان والجراثيم المدنية) العلمان الأوّلان يفيدان الطبيب من حيث علاقتهما مع الانسان. أما العلم الثالث فهو علمٌ مستجدٌّ منذ اكتشافات العلّامة بستور الذي اظهر للاطباء عالماً جديداً لا غنى لهم عن معرفة قاصية ودانيه وقد دُعي هذا العلم بالبكتريولوجيا او علم الميكروبات فيعرّف تلك الجراثيم الدقيقة التي لا ترى بمجرَّد العين وما لها من العلاقات بالامراض والعُدويات وبيين الوسائل لنفي تلك الجراثيم الوبئة او مناهضة عملها والاتقاء منها

٨ (علم الصحّة) هو علم عمليّ غايتهُ صيانة البدن من الامراض وتعريف ما ينفع لذلك

٩ (علم الكيميا الطبيّة) يبحث عن تركيب العناصر الطبيعيّة وتحليلها من حيث علاقتها مع الجسم والصحّة

١٠ (علم الطبيعيّات) للطبيعيّات علائق متعدّدة مع الطبّ لا بُدَّ من درسها. وربما أضيف اليها منذ عشر سنين فقط العلاج بالكهرباء والشعّة وتجين . وهو علم يتّسع نطاقهُ يوماً بعد آخر

١١ (علم التوليد) غايتهُ الحرص على مبدإ حياة الانسان وعلاج الادواء التي تصيب الوالدات عند مولد اطفالهنَّ

١٢ (علم الصيدلة) هذا العلم مختصٌّ بتركيب الادوية مع قطع النظر عن الامراض واصحابها وهو علم منفرد يختصُّ به بعض الدارسين ممن لا ينوون معالجة المرضى بنفسهم وانّما يستحضرون ما وصف به الطبيب

فكلُّ هذه العلوم كما ترى لا يمكن الطلبة احرازها إلّا بعد الشغل الطويل وكثرة المطالعة والدرس ويتفرَّع منها فروع أُخرى كعلم امراض العيون وامراض الآذان وعلوم أُخرى ثانويّة لا نأتي بذكرها. ومن تعداد العلوم السابقة يستدلّ القرّاء على ما احتاج اليه مكتبنا الطبي من الاتعاب والنفقات ليماثل اعظم المكاتب الطبيّة الاوربيّة.

ولما كان للاطباء واجبات وفرائض خصوصيّة تلزمهم بسبب علاقات مهنتهم بالحياة البشريّة ويحفظ الهيئة الاجتماعيّة. عُهِد الى احد الآباء القاء الخطب في كل اسبوع على طلبة الطبّ لشرح الآداب الطبيّة وما يترتّب على الطبيب للقيام باعباء وظيفته

خدمةً للانسانيّة ودفعاً للمضارّ التي تنجم عن سوء معاملة للمرضى والمتوّمين

﴿ معاهد المكتب الطبي ﴾ قلنا انّ اوّل ما أُنشئ هذا المكتب في سنة ١٨٨٣ لم يكن له غير حجرتين مع مُسقّف في وسطهما. لكنّ ترقّي الدروس وازدياد عدد الطلبة اضطرّ اصحابهُ الى ان يشيّدوا بعد ثلاث سنين بناء كبيرًا ذا طابقين أُلحق بالبناء الاوّل فخُصّت معاهد كانية بالطبيعيّات والكيميا والتشريح. وأُفردت في الطابق الاوّل معاهد أُخرى للمكتبة التي تجمع اليوم نيفًا وعشرين الف كتاب طبي ثمّ للمتحف الطبي الذي عُرضت فيهِ قطعٌ متعدّدة من الاجهزة الطبيعيّة والمركبات المصنوعة على هيئة الجسم البشريّ وامثلة الامراض الجلديّة وامراض العيون والادوات الطبيّة والجراحيّة وهياكل الحيوانات الصغيرة. وهناك ايضًا ديوان واسع تنعقد فيهِ الجلسات الرسميّة وتُتمّ فيهِ الامتحانات السنويّة على جوانبهِ خزانات فيها ٥٠٠ قطرة تحتوي مجاميع لحشائش لبنان ونباتات سوريّة يبلغ عددها عدّة الوف جمعها الايوان اليسوعيان ڤنسان وبولوا مع اربع مجاميع من جنسها اهداها للمكتب جناب الافاضل الدكتور جول روفيه احد اساتذة المدرسة سابقًا والمرحوم السيو بلانش مدير جمعيّة سكّة بيروت الى دمشق والخوري تيله (Tillet) من كهنة مدينة ليون والدكتور ڤيو-(Dr Viaux-Grand-Marais). وفي هذا الطابق عينهِ في طرفهِ الشرقيّ معبد خاصّ بالمكتب الطبيّ تُقدّم فيهِ كل يوم احد الذبيحة الطاهرة يحضرها الاساتذة والطلبة المسيحيون معاً

اما الطابق الاسفل فخُصّ بغرف مختلفة منها غرفتان كبيرتان للمدارس فيهما المقاعد على شكل نصف الدائرة يتراقى بعضها فوق البعض. وغُرف أُخرى لادوات العلوم الطبيعيّة وللمركّبات الكيمويّة وللاختبارات الصيدليّة ودواوين لاستقبال المرضى وفحصهم

وفي السنة ١٨٩٦ شُيدت غرفة كبيرة شرقًا بازاء البناء الاوّل خُصّت بتشريح جثث الاموات ودرس تركيب العظام. وخُصّت الغرفة المبنيّة لذلك سابقًا للدروس الميكروبيّة واستثبات الجراثيم الوبيئة وغيرها. وكذلك أُفرز مكان خصوصيّ للاستحمام الكهربائيّ والعلاج بالمجاري الكهربائيّة ولادوات اشعّة رنتجن وللتصوير الشمسي اللازم لاستثبات بعض الامراض

على انّ المدارس الطبية تحتاج الى معاهد أُخرى غير المذكورة آنفًا اخصّها

المستشفيات. وكلٌ يعرف ما للفضل في ذلك لراهبات المحبة اللواتي انشأن في بيروت اول مستشفى سنة ١٨٤٨ فدعونهُ مستشفى الرحمة ومن اطّلع على ترجمة رئيستهن الاخت المكرَّمة جيلاس يدرك ما قاسينَ من ضروب المشقات في انشائهِ وتوسيعهِ وتبليغهِ الى حالهِ الحاضرة التي تجعلهُ كمستشفيات اوربَّة المتقنة. اذ لا ينقصهُ شيءٌ من اسباب الراحة لكل المرضى والسقماء الذين يتواردون اليهِ من مدن الساحل وجهات لبنان على اختلاف الطوائف والاديان فيجدون من التفاني في خدمتهم ما ينسيهم حنان الوالدين

فلمَّا أُنشئ المكتب الطبي التمس اصحابهُ من راهبات المحبة الفاضلات بان يأذنَّ للاساتذة والطلبة معاينة المرضى وفحصهم فاجبنَ الى ذلك بما يُعهد فيهنَّ من اللطف لكل عمل خيري وجهَّزن لذلك كل اللوازم لهذه الغاية بحيث يستطيع التطبيون في اوقات معلومة ان يشخصوا العلل ويدرسوها درساً تماماً ويمدّوا لها العلاجات المناسبة. وهذا القسم العملي من الطبابة هو كتتمّة للدروس النظريَّة واقرب طريقة لاتقانها واخراجها الى حيز العمل وذلك تحت قيادة بعض اساتذتهم البارعين ويساعدهم في هذا المشروع بعض قدماء الطلبة الذين تخرَّجوا في المكتب ونالوا شهادة الدكتوريَّة

وهنالك ايضاً معهد واسع للعمليات الجراحية على موجب كلّ الاكتشافات المستحدثة يجتمع فيهِ تلامذة الطبّ مع زعمائهم فيحضرون العمليات ويتمرَّنون على اجرائها كما يرون

وكذلك شُيّدت سنة ١٨٩٨ قريباً من المستشفى دار أُلحقت بهِ وخُصّت بتوليد النساء فسُدَّ بذلك خللٌ عظيم في تعليم طلبة الطبّ الذين تمكَّنوا بهذا الموال من انقاذ عددٍ وافرٍ من الاطفال من مخاليب الموت اذ حصلوا على الحذق المقتضى لتلك الغاية

أما تعليم الصيدلة والكيمياء فلا بُدَّ لهما من مختبرات لاستحضار الادوية وتحليلها وتركيبها ولكلا الفنين غرفٌ خاصة مجهَّزة لذلك يروّضهم فيها اساتذتهم على كلّ ذلك

ومما يلحق بتعليم النبات جنينةٌ لاستنبات المواليد الطبية وغيرها يتولى امرها

استاذ علم النبات . وهذه الجنينة اليوم غنية بالنباتات الاهلية والاجنبية يتردَّد اليها التلامذة للدروس النباتية ومعرفة الحشائش الطبية

فترى من هذا النظر الاجماليّ انَّ مدرسة الطبّ لا ينقصها شيءٌ من الاجهزة والمعاهد التعليمية لولا انَّها تضيق اليوم بعدد طالبيها . والحقُّ يقال انَّ المكتب لمَّا شُيدت مبانيه ما كان اصحابهُ ليظنُّوا انَّ عدد الدارسين يُربي في السنة على الخمسة عشر وفي كل السنين الاربع على الستين . الَّا انَّ هذا العدد قد زاد اليوم الى ما لم يكن في الحسبان فزاد عليه ضعفين بل ثلاثة اضعاف اذ يبلغ اليوم عدد طلبة المكتب الطبي نيِّفاً ومائتين . فاضحت تلك المعاهد والغرف ضيِّقة على الدارسين تستدعي ابنية ارحب واوفق بالمرام حقَّق الله الاماني قريباً ان شاء الله

﴿ اساتذة المكتب الطبي ﴾ انَّ شهرة المكاتب المدرسيَّة تقوم خصوصاً باهليَّة معلميها . ومن ثمَّ منذ انشاء مكتبنا الطبي استفرغ اهلهُ الوسع باستحضار اساتذه ماهرين تخرَّجوا في الكليات الاوربيَّة وامتازوا ببراعتهم في فنون الطبابة . وليست غايتنا هنا أن نجاهر بمدح الذين علَّموا في هذه المدرسة فانَّ ذلك امر ثقيلٌ فضلًا عن كون هؤلاء العلماء ليسوا بحريصين على مثل هذا الثناء اذ لم ينوا بعملهم مدحاً زائلًا بل قصدوا خدمة الدين والعلم معاً . على انَّنا لا يسعنا السكوت عن ذكر بعض الامور التي دخلت في طور التاريخ وانتشر خبرها عند الخاصّ والعام

انَّ اساتذة المكتب الطبي كلّهم فرنسيُّون جنساً قسمٌ منهم يسوعيُّون يدرّسون العلوم التي لا تُنافي رتبة الكهنوت كالطبيعيَّات والكيميا الطبيَّة والنبات والامراض الميكروبيَّة والتداوي بالكهربا . وقسمٌ عالميُّون يلقون دروسهم في بقيَّة فنون الطبّ كالجراحة والامراض الباطنية والخارجية والتوليد والصيدلة

اما اليسوعيُّون الذين درَّسوا في هذا المكتب منذ انشائهِ فاحد عشر . قضى منهم نحبهم الابوان لاون فنسان في ٣ك١ سنة ١٨٩٨ وميشال غوتيه في ١٣ ت٢ سنة ١٩٠٧ وكان الاوَّل رجلًا عالماً بالفلسفة والآثار والهيئة والعلوم الرياضية والطبيعية والنبات علَّم تلك الفنون نحو ثلاثين سنة ولهُ فيها عدَّة تآليف مهمَّة طُبع منها بعضها فقط . وكان الثاني من اساتذة الطبيعيات الممتازين . يذكر اهل بيروت الى يومنا هذا الخطب التي ألقاها مدَّة على وجوه المدينة مع اجراء الاختبارات في الاكتشافات المستحدثة

وننظم في سلك الموتى اليسوعيين الذين تولوا ادارة المكتب دون التعليم وكانوا كلهم من الرجال المعدودين علمًا وفضلًا وقدرةً على التدبير كالاب بيار لوفاتر المتوفى في ١٢ آذار سنة ١٨٨٨ والاب يوليان هنري (+٣١ تموز ١٨٩٨) واتيان كلاره (+١٦ ت١ ١٩٠١) ويوسف اوتفاج (+ ايلول ١٩٠١). وكذلك الاب يوحنا راي (+ ١٠ شباط ١٩٠٨) الذي كان خطب سنين عديدة في الطلبة وارشدهم الى اتمام واجباتهم الطبية مع رعية الآداب المختصّة بمهنتهم

امّا الاحياء فقد بقي منهم ثمانية احدهم الاب بولس سولران حضر افتتاح المكتب سنة ١٨٨٣ وعلّم فيه حتى السنة المنصرمة وقد اقام له تلامذته القدماء والحاليّون حفلةً بهيجة تفنّنوا فيها في ذكر مآثره المتعدّدة ولاسيّما عنايتهُ في ترقيتهم وتفانيهُ في تهذيبهم. وقد قضت الاحوال على ثلاثة آخرين بالابتعاد عن بيروت امّا طلبًا للصحّة وامّا خدمةً للمكتب الطبي. والباقون يعلّمون بما عُرفوا بهِ من النشاط اقدمهم في التعليم الاب لويس بولوا الذي درس مدّةً في مكتب باستور في باريس ولا يزال يواصل دروسهُ منذ السنة ١٨٩١. ويليهِ الاب موريس كولنجت استاذ الطبيعيات وملحقاتها منذ السنة ١٨٩٥. ومن المعلوم الشائع انَّ اليسوعيين لا يطلبون لهم الامتيازات الشرفية الّا انَّ الحكومة الفرنسويّة من تلقاء ذاتها قد منحت خمسة منهم وسامات فخريّة تدلُّ على تقديرها لمساعيهم

امّا الاساتذة العالميّون فشيوخهم اليوم اربعة اقدمهم الدكتور هنري نكّر الذي انضوى الى معلمي المكتب الطبيّ في ١٠ آذار سنة ١٨٨٥ ثمَّ تبعهُ في تشرين الاوّل من السنة الدكتور دي بيرون. وثالثهم الدكتور هاش جاء بيروت في تشرين الاول من السنة ١٨٨٨. والرابع الدكتور كيكْ ابتدأ تعليمهُ الصيدلة في تشرين الاول من السنة ١٨٩٤. وقد منحت الحكومة الفرنسويّة كلّ هؤلاء المعلمين امتيازات شتّى من اوسمة وجوائز شرفية ونظمتهم في سلك دواوينها العلميّة. وكذلك منحهم قداسة الحبر الاعظم بواسطة سيادة القاصد الرسولي وسام القديس غريغوريوس من رتبة كومندور في السنة المنصرمة. ولكلهم تآليف متعدّدة نشروا معظمها في فرنسة ونال الكثير منها انواطًا ذهبية او جوائز أُخرى شرفية. والبعض من هذه المطبوعات طُبع في بيروت او نُقل الى العربية.

ومنها ايضاً نصوص طبيّة قديمة نشروها في لغتنا وذيّلوها بالحواشي وعلّقوا عليها التعليقات المفيدة

ومن الاساتذة الذين دخلوا حديثاً في عداد معلمي المكتب الطبيّ الدكتور كَلمت (من السنة ١٩٠٣) والدكتور شابوتان (١٩٠٥) وقد احرز كلاهما السمعة الطيبة منذ قدومهما واستوقفا انظار الناس باعمالهما المشكورة وخدمهما المذكورة

ولسنا ننسى في جملة هؤلاء الاساتذة الدكتور جول روفيه الذي حضر افتتاح المكتب الطبي سنة ١٨٨٣ وخدمهُ ٢٢ سنة بنشاط الى السنة ١٩٠٥ فندبتهُ الحكومة الفرنسويّة الى التعليم في مكتبيا الطبي في الجزائر. وامتيازاتهُ الشرقية وكتاباته العلمية اشهر من أن تحتاج الى تعريف

ومن لا يبرح ذكرهم من قلوب الاحياء ثلاثة معلمين توفّاهم الله في منتصف اعمارهم فانتقلوا الى دار البقاء قبل ان يحققوا كلّ الآمال الطبية المبنية عليهم وهم الدكتور سيشس وكان من عمدة منشئي المكتب (١٨٨٣ — ١٨٨٧) والدكتور بويه (١٨٨٩ — ١٨٩٧) افادنا بكتابهِ الفرنسوي النفيس المعنون «الشروط الصحية الحالية في بيروت وضواحيها» والدكتور دي لابوزديار (١٨٩٨ — ١٩٠٣) ولهُ ايضاً كتاب جزيل الفائدة في القوانين الصحية لم يظهر منهُ الّا قسم واحد. رحم الله هؤلاء الرقى واجزل ثوابهم في دار الخلد. وقد امتاز الاثنان الاخيران بتقاهم وكانت ميتتهم صالحة فخلّفا الاسف في قلوب كل من عرفهما

﴿ تلامذة المكتب الطبي ﴾ يقول المثل العربي انّ من اشبه اباه ما ظلم. فأطيب ثناء نثني بهِ على المكتب الطبيّ واساتذتهِ الافاضل ذكر التلامذة الذين تخرجوا فيهِ على علوم الطبابة

واوّل ما ينبغي تنبيه الافكار اليهِ عدد هؤلاء الطلبة الذين تواردوا الى مناهلهِ الطبية ليستقوا منها: فانّ تزاحم الورّاد على الماء احسن دليل على عذوبتهِ وطيبهِ. ولو اعتبرنا عدد كلّ الذين دخلوا المكتب ليتلقّنوا فيهِ المعارف فانهُ لا يقلّ عن ٨٢٧ بمعدل ٣٣ في السنة. نعم انّ كل هؤلاء لم ينجحوا في دروسهم او لم يتمّوها لاسباب شتى لكنّ مجرّد تعدادهم كافٍ للدلالة على رواج العلوم الطبية في هذا المكتب

وان لحظت جنسيّات هؤلاء الطلبة وجدتهم من جنسيات عديدة وناهيك بذلك

شاهداً على اتفاق الجميع في اعتبار المكتب الطبي . ولا غرو انَّ اكثرهم عدداً العثمانيون فنهم ٤١٧ قدموا من كل انحاء الممالك المحروسة وولاياتها ومنهم ١٧٥ لبنانيون و٨٦ مصريون و ٣٠ فرنسويون و٢٥ يونان و١٨ ايطاليون و ١٠ روسيون و ٩ نمسويون و٦ انكليز و٣ اسبانيون واثنان المانيان وواحد من هذه البلاد الثلاث: البرتغال ورومانية والحكومة الفضية . امَّا عدد الذين حصلوا على الشهادة النهائية فهو ٢٨٥ للطبّ و٦٧ للصيدلة (اطلب الجدول ص ٣٥٥)

وكذلك اديان الطلبة مختلفة جداً فالمسلمون ٨٣ والاسرائليون ٥٥ . امَّا النصارى غير الكاثوليك فنهم الروم الارثذكس ١١٨ والارمن الغريغوريون ٤١ والاقباط الارثذكس ٥ والبروتستانت ١٠ على انَّ معظم الطلبة من الكاثوليك اكثرهم الموارنة وعددهم ٢٤٣ ثم الروم الملكيون ١١٠ ثمَّ اللاتينيون ٧٢ ثمَّ الارمن ٣٨ ثمَّ الاقباط ١٢ ثمَّ الكلدان ١٠ والسريان ١٠

اما المدارس التي تخرَّج فيها هؤلاء التلامذة فهذا جدولها على الترتيب ٢٩٢ طالباً في مدارس الاباء اليسوعيين ثمَّ ١٣٨ في مدارس الاباء اللعازريين ثمَّ ٩٥ في المدارس المارونية ثمَّ ٦٥ في المدارس العالمية الحرَّة ثمَّ ٤٧ في مدارس اخوة المدارس المسيحية (الفرار) ثمَّ ٣٨ في المدارس الاسرائلية ثمَّ ٣٤ في مدارس الروم الكاثوليك ثمَّ ٣٣ في مدارس رهبان مختلفين كالاباء الفرنسيسيين والاباء الافريقيين وغيرهم ثمَّ ٣٠ في مدارس علمانية شتى ثمَّ ٢١ في مدارس الحكومة المصريَّة ثم ١٤ في المدارس الارمنية الغريغوريَّة ثم ١٣ في مدارس الروم الارثذكس ثمَّ ١١ في بعض المدارس العثمانية ثم ٦ في المدارس البروتستانية ثم ٥ في مدارس القبط الارثذكس ثم ٣ في مدارس الارمن الكاثوليك ومثل ذلك في مدارس الحكومة العجمية

هذا ما يختصّ بعدد التلامذة واصلهم وجنسياتهم والمدارس التي اخذوا فيها مبادئ العلوم وتعريف الذين نالوا الشهادات . وذلك ليس بكافٍ لبيان فضل الطلبة وتقدُّمهم في العلوم فانَّ للمدرسة وسائل فعَّالة لترقية الدروس وتنشيط الدارسين على إحكامها من ذلك سهر اصحاب المدرسة على آداب الطلبة ومثابرتهم على حضور الدروس في اوقاتها ومنها المفاوضات الاسبوعية للتمرُّن على الدروس ومراجعتها . ومنها الامتحانات العلنية مرَّتين في السنة قبل زمن المرفع وفي غاية حزيران ليتحقَّق الاساتذة

نجاح الطالبين فان لم ينجحوا تُضي عليهم بمراجعة المواد التي لم يتقنوها مدة ستة اشهر اخرى

ومن اسباب التنشيط المساعدة على ترقي الطلبة الداخلين جلسات اسبوعية يعقدونها في فنون العلوم ويلقون في ذلك خطباً يُجازى اصحابها بانعامات خاصّة اذا ما وُجدت متقنةً واهلًا بالجزاء.

وكل هذه الوسائل ووسائل اخرى غيرها تزيد رغبة التلاميذ في طلب العلوم وتنهض بهممهم الى الامور الشريفة. ومّما يدلّ على انّ اصحاب المكتب قد اصابوا المرمى انّ معظم هؤلاء الطلبة لم ينالوا فقط الشهادة الطبيّة بل نالوها ايضًا بامتياز مع علامات فخرية لا تُحصى ربما اندهل بسببها اصحاب اللجنتين العثمانية والفرنسويّة واثنوا من جرّائها على الطلبة واعلنوا بثنائهم في المجلات والجرائد

وزد على ما تقدّم انّ المكتب الطبي بعد انتهاء دروس طلبتهِ لا يهمل امرهم بل يسعى في نجاحهم وفي كافّة شؤونهم ليقوموا بمهنتهم القيام الحسن. ومن الوسائط المؤدية الى هذه الغاية اجتماعات سنويّة يحضرها كلّ من يمكنهُ من التلامذة الاقدمين ويتفاوضون فيها عن كل الشؤون الطبيّة. وفي هذا الشهر عُقد اجتماع من هذا الصنف دعي اليهِ جميع الدكاترة المتخرجون في المكتب منذ ابتدائهِ وهو الاجتماع العاشر من جنسهِ تصدّر فيهِ كلٌّ من حضرة ملاذ الولاية وسعادة القنصل الفرنسويّ مع عمدة المدرسة. ومنذ سبع سنوات صارت هذه المجتمعات على شكل المؤتمرات العلميّة تتشكل فيها اللجنات وتُقام فيها الابحاث. ويدوَّن كل ذلك في نشرة خصوصية تُطبع سنويًا.

ولا مندمة هنا من توجيه النظر الى الدكاترة الذين خرجوا من المكتب الطبي لعلّنا نقف على شيء من اعمالهم التي حقّقوا بها آمال مواطنيهم لانّ عند الامتحان يُكرم المرء او يهان

ومّا نراهُ بادئ بدء انّ تلامذتنا اليوم قد تفرّقوا تحت كلّ كوكب تجدهم في ثلاث قارات العالم القديم بل في العالم الجديد نفسهِ فتجدهم في كل جهات الممالك المحروسة ومدنها العامرة لا تكاد تخلو منهم مدينة ذات شأن مباشرةً بدار السلام. وقد عُرف منهم كثيرون بنشاطهم وحذقهم في جزائر اليونان والبحر الاحمر وفي قبرص وفي كرت وفي اقطار العجم وكذلك منهم في اوربّة واميركة بعض الافراد الذين

احرزوا هناك ثقة الاهلين رغماً عن كثرة الاطباء فيها ٠ أما افريقية فانَّ فيها عدداً وافراً من المتخرجين في مكتبنا منهم في تونس وطرابلس الغرب والحبشة وكل جهات مصر والسودان٠ وقد طلبت الحكومات المحلية بعضاً منهم لاعتبارها تهذيبهم العلمي٠ وقد توفَّرت لدينا الرسالات من المراجع الرسمية التي تثني على اعمال كثيرين منهم وتطنب في تفانيهم في مزاولة مهنتهم حتَّى في تمريض الموبوءين٠ وفي السنة ١٨٩٠ لما ظهر الهواء الاصفر في جهات طرابلس طلب ستة منهم الرخصة من الحكومة السنية ليضحُّوا نفوسهم في خدمة المصابين بالعدوى فنالوا غايتهم وعادوا مصحوبين برقيم من أرباب الامر هناك يشهدون على مروءتهم: وكذا فعل غيرهم في يافا ومصر

ويشهد ايضاً على كفاءتهم والقيامَ بمهام وظيفتهم اوسمة وامتيازات شرفية نالها بعضهم من دولتنا العلية وبعضهم من الحكومة الافرنسية وهم عشرة وغيرهم من دولة العجم او حكومة مصر والسودان٠ وقد افاد البشير غير مرَّة ما حظي بهِ جناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي ميخائيل رعد من الانعامات من جلالة ملك الحبش منليك الثاني وهو من نُخب تلامذة المكتب الطبي

ومن الشواهد ايضاً على همتهم تآليف طبية نشروها في عدَّة لغات نخصّ منها بالذكر ما كتبوهُ في العربية من فصول ومقالات وكتب مختلفة الحجم والموضوع لجناب الدكاترة خير الله فرح صفير وحبيب الدرعوني وتابوليون ماريني ونجيب اده وامين جميل وعبد الله ميخائيل رعد وفيليب بركات وكامل خوري والفرد خوري وشحاته خزام وغيرهم ايضاً

وقد كان يودّنا في هذه الحفلة ألّا نلقى ليد الموت اثرًا في الشبيبة التي نشأت في مكتبنا بيد انَّ حكم المنية لا يُرَدّ وقد دارت كاسها على شفاه كثيرين منهم فجرعوا سمها الزؤاف٠ وقد بلغ عدد هؤلاء المرحومين ٣٥ بمعدَّل واحدٍ في السنة٠ وكان ١١ منهم اتمّوا دروسهم ونالوا الشهادة الاخيرة٠ وممّا يعزينا انَّهم كلَّهم كانوا من ذوي الورع والتقى فنؤمل لهم الرحمة الواسعة في الآخرة

ونجعل مسك ختامنا الدعاء الى الله بان يكون هذا النصف القرن الجديد الذي يستأنفهُ المكتب الطبي مقرونًا باليمن والسعد لمجدهِ تعالى ولخير الوطن العزيز

السِيلَى أو السِلَى او بلاد السَرَق

بقلم حضرة الاب انستاس الكرملي

كل يعلم ما للعلماء الغربيين من الاعتناء بمعرفة الامور الشرقية وما يتعلّق بها من قريب وبعيد اذ لا نرى بحثًا الّا وطرقوا بابهُ ولا فنًّا إلّا ودخلوا رحابهُ . ومن جملة ما شُغفوا بهِ الأممُ الشرقية الحالية وما كانت عليهِ في سابق وجودها وعزّها ومجدها حتى انهم توصلوا الى معرفة الكثير منها ومن دقائق ما يتعلّق بمعيشتها واحوال داخل بيوتها وهو من الامور العزيزة ما يقدّرها العارف حقّ قدرها

هذا وإذا عرفوا جيلًا من الاجيال البائدة احبُّوا ان يعرفوا حالتهُ في الايام الحاضرة ليقابلوها قرنًا بقرن وعصرًا بعصر بعد ان يكونوا قد صرّحوا ان هذه الأمّة تسمّى الامة الفلانية اليوم وهذا الجيل كان معروفًا باسم آخر عند اصحاب اللغة الفلانية . او ان الاسم تصحّف وانتقل بالصورة الفلانية او على الوجه الفلاني . والخلاصة انهم هتكوا أستار أسرار ما كانت تخطر على بال وكشفوا لنا حقائق حيّيتا عزّ اجدادنا واسلافنا حتى امتدت حُمَيّا الحميّة تدبّ في عروقنا لنبلغ مبلغهم او على الاقل ان نتشبه بهم

فتشبّهوا ان لم تكونوا مثلهم   انّ التشبُّه بالكرام فلاحُ

وممّا تصدّوا للبحث عنهُ والكشف عن غامضهِ السوال عن بلاد السِلَى واهلها . وعن الأمة المعروفة اليوم خلفًا لها . ثمّ ما كان اسم السلى عند الغربيين من الرومان واليونان . ومن اين جاء العرب بهذه اللفظة يعني لفظة السلى . وهل يقابلها لفظة أخرى عند غير العرب . هذه عدة اسئلة لم يظفروا منها الّا بجواب واحد ولا اظنّ ان هذا الجواب يفي بالمقصود كما سترى في محلهِ ان شاء الله تعالى

وقبل ان نبوح بسرّ هـذا الغامض لننظر الى اقوال بعض المؤرخين من العرب الاسبقين ونرى ماذا يريدون بالسيلى . قال صاحب تقويم البلدان :

« السيلى : خارجة عن [الاقليم] الاول الى الجنوب [وهي] من اقصى الصين الشرقي [والاسم] بالسين المهملة والياء المثنّاة التحتية ولام ياء ثانية في الاخر . هكذا وجدناها في الكتب . ويقال سِيلَا (وفي رواية سِلَا) وهي في اعالي الصين من الشرق . وقلّما يُسلك اليها في البحر . وهي من جزائر في

بحر الشرق كجزائر الخالدات والسعادة في بحر الغرب لكن هذه معمورة في خصب وخيرات بخلاف تلك »

وقال في كلامه عن الصين(١ :

« والصين الاقصى ويقال له صينُ الصين (٢ هو غاية العمارة من جهة الشرق وليس وراءه غير البحر المحيط . ومدينةُ الملنى يُقال لها السيلا واخبارها منقطعة عنّا »

ولم اقف لها على اثر في كتب ابن خرداذبه وابن الفقيه واليعقوبي ولا في معجم ياقوت الواسع ولا في كتابه مراصد الاطلاع ولا في تاريخ المقدسي . والخلاصة قد بحثت عنها في اغلب كتب اصحاب دواوين البلدان فلم أفزْ بطائل . والذي أكثر من ذكرها المسعوديُّ في جميع كتبهِ من ذلك في كتاب التنبيه والاشراق قال :

« واقصى العمران في المشرق : اقصى حدود بلاد الصين والسيلى الى ان ينتهي ذلك الى ردم ياجوج وماجوج »

---

١) في كتابهِ : المختصر في احوال البشر . طبع الاستانة ١ : ١٠١ و١٠٢

٢) ان البستاني صاحب دائرة المعارف لم يذكر السلى ولا السيلى في كتابهِ كما انهُ لم يذكرها بلفظٍ من لفظاتها المختلفة . بيد انهُ ذكر صين الصين لكنهُ اخطأ المفرزة وجاء بما لم يذكره العرب عن صين الصين . واليك نصّ كلامهِ : « صين الصين . جزيرة على مسافة نحو ستمائة خطوة فقط من شاطئ يتغ تسي كينغ . ويقال لها ايضاً « جبل الذهب » . وهي مرتفعة الجوانب جدًّا ومشحونة بالبساتين والبيوت المعدَّة للنزهة حتى كانهُ اجتمع بها صنع الله وصنع البشر فمنظرها ينظر يأخذ بالالباب ويستلب العقل وهي تُنسب لسلطان الصين وفي السهل الذي باطرافها ينمو شجر القطن الغريب الذي يتّخذ منهُ القماش المعروف في اوربا باسم « ننكين » ولهُ وبرٌ يخرج على ازهارهِ ولونهُ الاصلي الباقي مع الصفرة الضاربة الى الحمرة وهذا اللون يبقى فيهِ بعد الغزل والنسيج » اه

الا ان هذا كلهُ لا ينطبق على كلام العرب فان هؤلاء قد ذكروا ان صين الصين ديار واسعة ولها ملوك عادن ملوك الصين والسفر الى تلك الاصقاع يكون برًّا وبحرًا الى غير هذه التفاصيل التي لا تشبه التفاصيل التي اوردها صاحب الدائرة . والظاهر ان الذي ساقهُ الى هذا الوادي وادي نُضَال انهُ طالع في كتب العرب ان بلاد السيلى هي جزيرة وراء بلاد الصين فقال ما قال . وليسمح لنا القرّاء ان نقول هنا استطرادًا ان دائرة المعارف كثيرًا ما اهملت ذكر الامم الشرقية البائدة او المنقرضة كالجراجمة والجرامقة والاحامرة والاجاردة والبرجان والداودة والركوسية الى غيرها من الاجيال التي هي بمنزلة عظيمة من الاهمية التاريخية . ونحن نجهل سبب هذا الاهمال الذي يثير لواعج الاسف في النفس . فعسى المتولون اتمام هذا المشروع يتلافون هذا النقصان بالملحق الذي قد صمّموا على ابرازهِ بعد نهاية هذا الاثر الجليل . حقّق الله النيات والاماني واصدرها الى حيّز الوجود

وقال ايضاً في تعداد الامم:

« والامة السابعة: الصين والسيلى وما اتصل بذلك من مساكن عامور بن يافث بن نوح ملكهم واحد ولغتهم واحدة »

وقال في كتابه مروج الذهب:

« وليس بعد بلاد الصين مما يلي البحر ممالكُ تُعرَفُ. ولا بلادٌ توصفُ. الّا بلاد السيلى وجزائرها. ولم يصل اليها من الغرباء احدٌ من العراق ولا غيره فخرج عنها لصحّة هوائها ورقّة مائها وجودة تربتها وكثرة خيرها الّا النادرُ من الناس. واهلها مهادنون لاهل الصين وملوكها. والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع. وقد قيل انّهم تشعّبوا من وُلْد عامور وسكنوا هنالك على حساب ما ذكرنا من سكنى اهل الصين في بلادهم » اه المقصود من الاستشهاد به

وقال في محل آخر من كتابه:

« سيلا (وفي رواية شيل بالشين المثلثة) بلدة من اواخر بلاد الصين في غاية الطيب لا يُرى بها ذو عاهة من صحة هوائها وعذوبة مائها وطيب تربتها. اهلها احسن الناس صورة واقلّها امراضاً. وذُكر ان الماء اذا رُشّ في بيوتها تفوح منهُ رائحة العنبر. وهي قليلة الآفات والعلل قليلة الذباب والهوامّ. اذا اعتلّ احد الناس في غيرها ونُقل اليها زالت علّتهُ. قال محمّد بن زكريا الرازيّ: من دخلها استوطنها ولا يخرج عنها لطيبها ووفور خيراتها وكثرة ذهبها»

وقال ابن رسته:

« ومن دخل من المسلمين بلاداً في آخر الصين تُدعى السيلا (وفي نسخة السلا) بها ذهبٌ كثير استوطنها ولا يخرج عنها بتّةً »

وذكرها ابن خلدون في مقدمته في كلامه عن الاقليم الاول قال:

« ينفتّ بها (باعالي بلاد الصين) في هذا البحر (البحر الهندي او الحبشي او بحر الصين) من جنوبيها جزائر الواق واق ومن شرقيها جزائر السيلا (وفي النسخة المطبوعة السيلان وهو من غلط النُسّاخ)

فما عسى تكون هذه البلاد؟ فاذا سألنا صاحب شرح الخاني فانهُ نراه يتوقّف في تعيين ما يوافقها اليوم فقد قال (في ٧: ٨٧): « بلاد السيلى. نظن انها جزائر الفيلبين » وقال في ص ١١٧ من ذلك المجلد عينه بعد ايراد ما نقلناه من كلام ابي الفداء في تقويم البلدان: لا يبعدُ عن *الظن ان هذه الجزائر هي جزائر اليابان*. وقيل ان بعض العرب اجازوا الى تلك البلاد وفي بعض الاسفار ما يشير الى ذلك » اه

وأمّا الافرنج فقد ذهبوا مذاهب فمنهم من قال انها بلاد اليابان ومنهم من راى انها جزائر الفيلبين الى آخر ما قالوا وتقوّلوا. لكن لايمكن ان تكون السيلى او

الشيلى او السلى وغيرها من اللغات بلاد اليابان ولا جزائر الفيليبين ولا جزائر سخاليان ولاجاوة ولا ولا ولا . . . . . غيرها من الجزائر الواقعة في غمر البحر · والسبب هو ان السيلى هي شبه جزيرة لا جزيرة · والدليل على ذلك:

١ً ما قاله عنها ابو الفداء انه « قلما يسلك اليها في البحر » اذن فالاكثر ان يسلك اليها من البر لأن البحر هناك مخطر · والعرب يسمون شبه الجزيرة جزيرة كما هو مشهور فيقولون جزيرة العرب · لا بل وربما لم تكن جزيرة ولا شبه جزيرة بل اذا حاط بالارض نهران او اكثر قالوا انها جزيرة ومنها « الجزيرة او ما بين النهرين » . الى آخر ما هناك من الاسماء المشهور باسم الجزيرة

وعليه فلا يصدق هذا الوصف وما يتلوه الا عن جزيرة كورية التي هي بجوار الصين ومما يؤيدنا في هذا الراي

٢ً ان ملوك كورية لا تنقطع هداياها عن ملوك الصين وهم في مهادنة دائمة في سابق الزمان · هكذا نقله العرب في السابق وهكذا ايضاً ينقله الاخباريون من ماضين وعصريين ومن أعراب وأجناب

٣ً وَصفَ العرب موقعها في « اعالي الصين من الشرق » وهذا لا يصدق ايضاً الّا على بلاد كورية

٤ً وقالوا ايضاً : ان مدينتها العظمى اسمها « سيلا » وهي توافق « سيول » من بعض الوجوه ولاسيما اذا فرضنا انه وقع فيها تصحيف او تحريف وهو من الامور التي قلما تخلو منها الالفاظ الاعجمية الداخلة في العربية اللهم الّا في النادر الذي لا يقاس عليه

٥ً يجعل القزويني لغة الصين والسيلى وملوكهما من الامور التي أُنزلت منزلة واحدة · وهذا الامر لا يوافق ايضاً لا لغة اهل الفيليبين ولا لغة اليابان ولا جزيرة سخاليان بخلاف لغة كورية فانها مشابهة كل مشابهة للغة الصين ولاسيما في القديم فانها كانت واحدة في الاصل لان الصينيين هم الذين فقّهوا الكوريين بعلومهم ولغتهم واما الملوك ملوك كورية فانهم ما كانوا يجلسون على عرش مملكتهم الّا بإشارة الصينيين او برضاهم كما اثبتهُ اليوم تاريخ المحدثين واسانيدهم · وهذه الامور كلها لا تنطبق على غيرها من الجزر والديار القاصية الّا على هذه الجزيرة التي يدور عليها قطب كلامنا

٦ ان العرب سمّوا بلاد اليابان « جمكوت او جينكر او جين كو » فليس بعد ذلك حاجة الى تسميتها باسم لا يقرب من هذه الاسماء الثلاثة اذ شأن بين هذه الالفاظ الثلاثة وبين « السيلى »

٧ منذ ان دخل العرب بلاد الصين دخلوا ايضاً بلاد السيلى بخلاف بلاد يابان فانهم لم يدخلوها الّا بعد أمد مديد . والذين دخلوا بلاد السيلى قلّما خرجوا منها لطيب هوائها وعذوبة مائها واعتدال امزجة اهلها . الى غير هذه الاوصاف التي لا تقع الّا على كورية

٨ ذكر القزويني ان اهل السيلى فرع من اهل الصين وهذا لا يوافق الّا اهل كورية ايضاً

والخلاصة ان جميع الاوصاف الارضية والتاريخيّة والبلاديّة لا توافق الّا بلاد كورية وتقع عليها وقع الحافر على الحافر فلننظر الان الى الشواهد اللغويّة فنستقريها لنستلّ منها النتائج القاضية القضاء الاخير والفاصلة الفصل النهائي . فنقول :

١ ان لاهل العراق نوعاً من الثوب (النسيج) رقيقاً جداً يُستشف منهُ ما وراءهُ يسمونهُ « الشَّيلى » ويلفظ Shéléh او Shélé كان يُتّخذ سابقاً من الحرير الابيض الناعم ويؤتى بهِ من بلادٍ غير بلاد الهند وغير بلاد الصين بل من بلاد الشيلى او السيلى فسُمّي باسمها . ثمّ لما كانت قيمتهُ باهظة جدًّا ابدلوهُ من القطن الفاخر الناعم فسُمّي باسمهِ من باب التقليد كما يُقلّد شال قشمير مثلاً . ثمّ زادوهُ حسناً ان طبعوا عليهِ نقوشاً مختلفة وأعلاماً شتّى . فسمّوهُ « شيله بصمة » (الباء اصلها واو والصاد سين والبصمة تساوي الوسمة اي الشيلى او الشيلة الموسومة بالالوان) والبعض يقول شيرة بصمة او سيرة بصمة ويقولون ايضاً اول هاتين الكلمتين بالشين او السين مع الراء ولو لم تكن بعدها كلمة بصمة . والحاصل انهم يتلاعبون بها تلاعبهم بالكرة لترابتها

وهذه الثياب الحريريّة تُعرف ايضاً باسم « السَّرَه » او « السرق » . والظاهر انها ليست بفارسيّة ولو صرّح بها اللغويّون . نعم ان الفرس يسمون الحرير بكلمة « سَرَه » ايضاً . لكن من يقول لنا انهم لم يأخذوا هذا اللفظ عن التجّار الذين كانوا ينقلون هذه الثياب من الشرق الاقصى الى الشرق الادنى . وعلى كل فانا نرى بأن السَّرَق للثياب الحريريّة ماخوذ من اسم البلاد التي كانت تجلب منها وكثيراً ما تسمّى الاقمشة باسماء

البلاد التي تُصنع فيها. وهو اشهر من ان يُذكر. اما راي العرب في اصل كلمة السَّرَق فدونكهُ. قال صاحب التاج:

« السرق: شُقَق الحرير. قال ابو عُبَيد: الابيض. وانشد للعجاج:

ونسجت لوامعُ الحَرُورِ من رقرقان آلها المسجورِ
سبائبًا كسَرَق الحرير

او الحرير عامَّة. قال ابو عُبيد: اصلها بالفارسيَّة « سَرَه » اي جيد فعرَّبوهُ كما عُرِّب بَرَق الحمَل ويلمق القبا. وهما « بره ويلمه » الواحدة بهاء » اه

وفي اللسان انهُ يقال في سرَق:

« صرَق ايضاً بالصاد. قال: وانشد ابن بريّ للاخطل:

كأنَّ دجاجَها في الدار رقطًا بناتُ الروم في سرَق الحرير

وقال آخر [ثابت الشعر للاخطل]:

يرفلن في سرَق الحرير وقزهِ يسحبنَ من هدّابهِ أذيالا اه المقصود منهُ

فاذا عرفنا هذا عرفنا ايضاً ان الحرير يُسمى عند اللاتين sericum وعند اليونان σηρικόν وهي والسرق من اصل واحد. والاجانب يشتقونها من Seres او Σήρ ويراد بها بلاد السرق او بلاد السيلى والعرب ابدلوا من الراء لامًا كما هو من عادتهم في نقل الالفاظ الاعجميَّة فانهم خصُّوا اللفظة الموجودة فيها الراء للحرير والتي فيها اللام للبلاد. واما الارميُّون فانهم سمُّوا الحرير ܫܐܪܐ (شارا او شَرًا). وهي كسَرَق او سَرَه العربية والفارسيَّة واليونانية واللاتينيَّة من مورد واحد

وقد خفي على الافرنج الى يومنا هذا حقيقة هؤلاء الاقوام الذين سماهم اللاتين Seres واليونان Σῆρες فاصحاب المعاجم فسَّروها بالصينيين وهو غلط لان اللاتين سموا هؤلاء Sinenses واليونان Σῖναι فلا يمكن ان يكون السيلى والصينيون شيئًا واحدًا. واما اهل التواريخ وكتب البلدان فقد قالوا: ان السيلى هي البلاد التي يؤتى منها السرق او الحرير وهي على ما اوضحوه من أقصى بلاد الشرق المعروفة يومئذٍ. فربما كانت احدى ديار بلاد الهند وربما كانت البلاد المعروفة اليوم ببلاد سيام او صيام او لعلها بلاد هند الصين. والخلاصة انها البلاد التي يؤتى منها الحرير. لكنهم لم يعرفوا على التحقيق الى يومنا هذا ما كانت تلك البلاد. ومما تقدَّم نرى انها بلاد كورية المشهورة

لكن كيف تكون السيلى او السَّرَق او السَّرَه Σήρ واحدة مع كلمة كورية

وبينهما فرق عظيم. قلنا: ان كلمة « سره » او « سرا » ماخوذة من اسم احدى ولاياتها الثلاث التي يجتابها الاجانب اكثر من سائر الولايات والتي يكثر فيها احسن انواع الحرير او السرق وهي ولاية « سِنْرا » Sinra فسقطت النون كما سقطت من الفاظ كثيرة لانها من حروف الذلاقة وبقي « سرا » فنقلها كل قوم الى لسانه بعض تحريف او تصحيف. كما تقدم الكلام عنها. والاصل واحد

ولا عجب من ان الاقدمين سمّوا كورة باسم « سرا » او « سلي » او « سره » او ما تصحّف من هذه الالفاظ (١ فان كورة نفسها ماخوذة من كلمة « كوراي » وهي اسم ثاني الولايات الثلاث التي تُقسم اليها تلك البلاد. واسم الثالثة « ابيكتساي » او « فاكاي » او « فاتزاي » او « فاخزاي ». فاشتق منها العرب ايضاً « كلمة » قزّ وخزّ والترك كلمة « إيبك او إيبك »

واما العبرانيون فانهم سمّوا الحرير « משי » مقطوعة من « ابريشي » او « ابريسم » او « برشيم » او من « أبيشم » او « ابيشي » لنوع من الحرير وهو ما تساقط منه

ومما نستلفت الانظار اليه ان الكلمة السريانية ܫܐܪܝܩܝܐ ܣܝܪܝܩܝܐ ܣܪܝܩܝܐ (٢ هي نفس كلمة [illegible] باختلاف في الكتابة وذلك دلالة على عجمتها في لغة الارميين

---

١) يتحصّل من هذه المقالة ان لفظة السيلي تختلف حسب الرواية حتى تبلغ احدى وعشرين لفة وهي: السيل والسلي. والسيلا والسلا. والسيرا والسرا والسيراء. والشيل والشلي. والشيلا والشلي. والشيرا والشرا. والشاه والسيلة والشيرة والشرة. والسيره والسره. والدرق. والصرق. ما عدا اللغات الاجنبية التي نضرب عنها صفحاً.

٢) للعرب كلمة تقابل هذه الالفاظ الارية وهي السيراء وقد اختلف العلماء في وزنها ومعناها وصيغتها واحسن من فصّل ذلك صاحب التاج قال: السِيَراء. كالعِنَباء. ويسكن (اي يقال السِيْراء): نوع من البرود. وقيل: هو ثوب مسيَّر فيه خطوط. تُعمل من القزّ كالبرود. وقال الجوهري هو بُرد فيه خطوط صفر. قال النابغة:

صفراء كالسيراء أكمل خلقها كالغصن في غلوائه المتأوِّد

او يخالطهُ حرير. وقيل هي من ثياب اليمن. قلتُ: وهو المشهور الان بالمضفّ (هذا كلهُ كلام التاج) وفي كلامه عن الصَّنِيَّة يقول ايضاً: . . . او ثوب يمنيّ يعرف بالمضفّ اليوم يرتدى به. فاي القولين هو الاصح الاسدّ لان المؤلف سمّى كل ثوب ياتي من اليمن بالمضف ولذا اطلق عليه كلًّا من اسمي السيراء والصنية مع ان الفرق بين هذين الثوبين ظاهر فان الصنية تلبس فوق

ولم يقابلها احد من اصحاب المعاجم بالكلمة اللاتينيّة او اليونانيّة كما يفعلون ولعلهم استبعدوا موردها من ܫܪܩ وليس الامر كما توهموه

وممّا تسترقق له أطيار الانظار والافكار اسم دودة الحرير في الارمية ܙܘܚܡܐ (صرموقا) فهي عندنا منحوتة من صرق «سرق» (بمعنى الحرير كما قلناه من اللسان) و ܚܡܐ وهي الدودة والسوسة والبعوضة. فيكون محصل معناها «دودة الحرير» ولما دودة الحرير باللغة الارمنية فاسمها (kpmul) (١ (شيرام) فهي لفظة «شيرا» الارمية بزيادة ميم في الآخر كأنها بمنزلة التمييم في سابق اللغات الساميّة (راجع مقالتنا في اصل التنوين عند العرب وغيرهم)

هذا ما اردنا تبيانه في هذا الباب ولا يخفى ما يترتب على معرفة هذه الكلم على اختلاف لغاتها في الالسنة المشهورة من الامور الجغرافية والتاريخيّة واللغوية فضلًا عن معرفة منزلة هذه الاقوام وفضلهم في سابق العصور الخالية ثم في القرون التالية الى هذه السنوات الحالية. ولله الحمد اولًا وآخرًا

(المشرق) روينا هذه المقالة لحضرة مكاتبنا البغدادي الفاضل بحرفها ولا غرو أنّ العلماء يعيرونها بالًا. لاسيّما ان حضرته ليس بأوّل من ذهب الى هذا المذهب فانّ العلّامة المستشرق الهولندي دي غوي (de Goeje) ارتأى هذا الرأي قبل ٢٧ سنة في كتابه من آراء قدماء العرب في جزائر اليابان (Arabische Berichten over Japon. *Amsterdam*, *Müller*, 1880, p. 3,4) وتبعهُ في رأيهِ العلامة رينو في ترجمتهِ الافرنسية لتقويم البلدان (٣: ١٢٤) لكن الامر حتى الآن لم يقرّره العلماء. وفي حجج حضرة الاب انستاس ما هو حدس وتخمين فقط

الثياب من قبيل الرداء بخلاف السيراء. فانها من قبل الثياب التي تكون تحت الرداء وفوق الشعار واهل العراق يسمون اليوم السيراء بالاقباني). وفي الحديث: اهدى اليه اكيدر دومة حلّةً سيراء. قال ابن الاثير: هو نوع من البرود يخالطهُ حرير كالسيراء وهو فعلاء من السير: القدّ. قال: هكذا روي على هذه الصفة. قال: وقال بعض المتأخرين: انما هو على الاضافة. واحتجّ بأن سيبويه قال: لم يأتِ فعلاء صفة لكن اسمًا: وشرح السيراء: الحرير الصافي. ومعناه حلة حرير. وفي الحديث: اعطى عليًّا بردًا سيراء وقال: اجعلهُ خُمُرًا. وفي حديث عمر: رأى حلة سيراء تُباع»

اما الآن فبعد النظر في اصل اللفظة اتضح لنا انها من اصل ارمي معرب وان اصل هذا الارمي من السره او السل او من غيرهما مما تصحف من اللفظ الذي ذكرناه والذي ينبع اصلهُ من بلاد كورية

١) شيرام بمعنى دودة الحرير لفظة ارمنية ومنها لغة ثانية وهي شيراس بسين في الآخر

لاسيّما ان الجغرافيين الأثبات يحلون مدينة « سره » التي تكلم عنها بطليموس الجغرافي Sera) metropolis) والتي منها يشتقّ اسم الصينيين واسم الحرير عند القدماء قريبة من مدينة سنانفو (Si-ngan-fou) الحالية وموقع هذه المدينة في الصين وليست في كورية . والله اعلم

وصف آثار كوم الشقافة

بقلم حضرة الخوري لويس ملحة المارونيّ

في احدى ضواحي الاسكندريّة الكائنة في الجهة الغربية منها والمسمّاة بكوم الشقافة أكمة وأنقاض اكتُشف فيها منذ بضع سنوات بطريق الاتفاق سراديب في قلب الارض وجدوا في داخلها قبورًا عديدة وحُجَرًا كثيرة منقورة بالصخر نقرًا محكمًا وقد تسنّى لنا ان نزور هذه العاديات مرارًا فتمكنّا في اثنائها من مشاهدة ما فيها من النواويس والحُجَر والكتابات والنقوش والرسوم والتماثيل . ومن ثمّ رأينا ان نصف في هذه المجالة لقرّاء المشرق الاغرّ هذه القبور وصفًا اجماليًا غير متعرضين الآن للخوض في عباب البحث عن زمن تاريخها وآراء الاثريين فيها الّا فيما يجيء عرضًا في خلال الكلام وهو قليل

ان هذه السراديب هي عبارة عن طبقات ثلاث يركب بعضُها فوق البعض وقد انارتها البلديّة من الداخل بمصابيح كهربائيّة ما عدا الاخير منها فان المياه قد تسرّبت اليها منذ زمن بعيد بسبب انخساف حدث هناك للارض تدريجًا كما يذهب اليهِ علماء الآثار وقد انحدرنا الى هذه السراديب على سُلَّم لولبيّ الشكل لا يقلّ عدد درجاته عن المئة فوصلنا اولًا الى الطبقة الاولى واذا نحن بحجرة مدوَّرة الشكل وفي وسطها بئر يعلوها صخر نُقر على شكل قبة وعلى جانب هذه الحجرة الشمالي ترى قاعة فسيحة الارجاء كان يجتمع فيها على ما قيل اهل الميت لحضور وليمة سنويّة كانوا يصنعونها يوم تذكار الاموات عندهم وهي لا تزال على هيئتها الاصليّة . وفي داخلها ثلاثة مراقد من حجر واربع دكائز منقورة في جدران هذه القاعة واليها يستند سقفها وقد شاهدنا هناك كميّة وافرة من شظايا العظام البشريّة والحيوانيّة كالجماجم والفكوك والكعوب والاكارع مع عدّة آنية من الخزف والآجرّ مثل قوارير وجرار مختلفة الشكل

ثمّ خرجنا من هذه القاعة وانحدرنا على درج يؤدي الى الطبقة الثانية فوصلنا الى حجرة ذات شكل مربع كانت معدّة للصلاة على الاموات ولهذه الحجرة واجهة مشيدة على عمودين من الطرز المصري القديم يعلوهما نقوش ناتئة بديعة الصنع تستلفت اليها الانظار ثمّ تقدّمنا الى الامام واذا بكوّتين منقورتين بالجدار الواحدة تجاه الاخرى والصناعة فيها تقرب من صناعة ابواب قدماء المصريين وفي كل منها تمثال من الحجر الكلسي احدهما تمثال امرأة والآخر تمثال رجل . اما سحنة هذين التمثالين فلا تدلّ انهما مصريان مع انهما قد اصطُنعا على اساوب الصناعة المصرية كما يظهر من النظر اليهما بدقة وإمعان . وبعد ان أعملنا النظر في هذه الآثار الجليلة ولجنا الحجرة واول ما وقع بصرنا على جانبي الباب اللذين على كل منهما رسم ثعبان ناتئ قد التوى على نفسهِ وهذه الحجرة المشار اليها تتضمّن ثلاثة اضرحة تتشابه شكلًا وصناعة انما تختلف نوعاً من بعضها فيما يتعلق بزينتها وبالتصاوير التي تعلوها فالضريح الموجود بالوسط منقوش عليهِ من الخارج رسم ازهار ونقوش بارزة على شكل اكلّة متدلية وفي وسطها صورة امرأة راقدة يظن انها المرأة التي أعدّ لها هذا الضريح لتُدفن فيه

اما النقوش التي على الدفنين المذكورين آنفاً فهي مؤلفة من عناقيد عنب تنتهي بشرائط محبوكة وفي وسط هذه النقوش ترى رأس فدّان معلقاً بحلقة اما اغطية هذه الاضرحة الثلاثة فهي مزدانة باطار على دائرها وفيها من الدقّة في الصناعة ما يحمل على العجب والاستغراب بحيث ان النحّات الذي نحت هذه الاضرحة قد عمد الى وسيلة حسنة تقي اغطيتها من التفتت والتكسّر فيما لو اضطرّ الى رفعها لفتح الضريح وهي انه نقر ابواباً في الرواق الذي يكتنف الحجرة التي نحن آخذون بوصفها ثمّ افرغ داخل هذه الابواب وبذلك استغنى من ادخال الجثة الى الحجرة غير انهُ همّوا يدخلون بها اليها حيث يضعونها برهة من الزمن قصد الصلوات الاخيرة عليها ثمّ يودعونها ألحادها من الابواب التي سبق وصفها

اما النقوش التي تعلو تلك الاضرحة فهي غاية في الجمال . فنقوش اللحد الذي في الوسط تمثل الاله اوزيريس متعصباً بالعصابة الملوكيّة ومنبسطاً على سرير الموت وترى تحت السرير ثلاثة آنية لافراغ احشاء الميت فيها ووراء السرير ترى الاله انوبيس (Anubis) اله التحنيط واقفاً وفي يده الشمال جام مجنّح بجنّتين ولهذا الجام عروة تشبه الحلقة وعند

راس السرير ترى الاله توت (Tut) اله الكتابة والعلم ممثلًا بصورة انسان الّا رأسهُ فهو بصورة راس الباشق وهو يمسك بيده اليمنى كوبًا وفي اليسرى مخصرة ويقدم للميت المضّجع على السرير علامة شبه الصليب ترمز الى الحياة العتيدة وترى تجاه اقدام الميت هوروس (Horus) الـه الشمس منتصبًا بصورة راس باشق ماسكًا بيديه مخصرة واناء وترى ايضًا عن يمين الميت كاهنًا متشحًا بجلد فهد فوق ثوب طويل يقدّم جامًا وذرًا من نبات السدر الى الالهة ايزيس الزينة الراس بجمّة مستعارة من الشعر والى شمال الميت يرى كاهن يقرأ امامه صلوات في درج

امّا النقوش التي تعلو الضريح الكائن في جانب الحجرة اليمنى فهي تمثل رجلًا على راسه تاج بشكل خوذة وهو محلى الجيد بعقد ومتدثر بثوب يصل الى ما فوق ركبتيه فقط وفي يده اناء يقدم فيـه تقدمة للاله ابيس القائم امامه على قاعدة تشبه قاعدة الاسطوانة وترى على صدر هذا الاله رسم هلال بارز ووراءهُ واقفة الالهة ايزيس وفي يدها اليمنى الريشة التي ترمز الى الحقيقة عند المصريين القدماء. وهي باسطة اجنحتها دلالة على الحماية. وفي الجهـة الداخلية اليمنى ترى صورتين الواحدة منهما تمثل راس حيوان يشبه كلبًا يعلو راسهُ قرص على شكل هالة والثانية تمثل الهًا بصورة راس انسانٍ على راسه قرص في دائرة مشعَّة. وفي الجهة الداخلية الشمالية ترى شخصًا يُظن انهُ احد الفراعنة يقدم تقاديم للميت. امـا النقوش التي فوق الضريح الثالث فهي كالتي تقدَّم وصفها وعليهِ لا حاجة الى تكراره هنا

وعلى الجهة اليمنى من مدخل الحجرة ترى الاله انوبيس بصورة جندي رومـاني يمسك بيده اليمنى مجنًا وباليسرى حسامًا. وترى في الجهة الشمالية تمثال الاله تيفون تحدهُ السفلى بصورة تنين وهو متشح ايضًا بلباس جندي روماني

ثم تركنا هذه الحجرة الجميلة ومررنا ثانية بالرواق الكائن امامها وما لبثنا ان ولجنا السرداب الذي يطوّق الحجرة كما تقدمنا. وكان ولوجنا هـذا السرداب من الجهة اليسرى وبعد ان اجتزنا فيهِ بعض خطوات شاهدنا على الجدار مدافن كثيرة لم يزل القسم الكبير منها مسدودًا بحجارة وعلى اغطية هذه المدافن كتابات يونانية عريقة في القدم تدلّ على اسم الميت وعمره واكثر هذه المدافن تحتوي ضمنها من ثلاث الى اربع جثث. وفي جدار هذا السرداب طاقات صغيرة تحتوي قوارير من خزف ما زالت باقية

في امكنتها الى اليوم وهي تضمّ رفات الذين آثروا احراق جثثهم على ايداعها اللحد

ثمّ تركنا هذا السرداب وسرنا الى حُجَر مدفنية تؤدي الى حُجَر تشبه الحجرة التي مرَّ بك وصفها الّا انها عارية عن كل نقش وزخرفة

ثمّ صعدنا على الدرج الكبير واذا نحن ببئرٍ كائنة على جانب الدرج قد استخرج منها الفعلة اثناء الاشتغال في تفريغ مياهها ثلاثة رؤوس من الرخام الناصع البياض وهي معروضة اليوم في المتحف الاسكندري. ثم ولجنا بعد ذلك مسلكاً ضيقاً كلهُ مدافن ادّى بنا الى حجرة صغيرة تتضمَّن قبوراً مسدودة عليها بقايا رسوم لا تخلو مشاهدتها من الافادة ومنها دخلنا قاعة كبيرة فيها عدَّة مدافن منقورة بنفس جدرانها. وهذه القاعة تُعرف بقاعة كاراكلا وسبب اطلاق هذا الاسم عليها هو لانهم وجدوا فيها تلك الجماجم والعظام البشريَّة والحيوانية التي مرَّ بك ذكرها. وقد عزى بعضهم وجود هذه العظام هناك الى المذبحة الشهيرة التي أحدثها كاراكلا احد ملوك الرومان الذي ملك من سنة ٢١١ الى ٢١٧ بعد المسيح وكان هذا الملك سفّاحاً سافكاً للدماء كما يُعلَم من مطاوي تاريخ حياتهِ وعلّلوا ذلك بقولهم انه لما بلغ الاسكندريين ما سيحدثه كاراكلا هذا فرَّ فريق منهم هارباً الى تلك السراديب التي نحن بصددها حيث اختبأوا فيها مع خيلهم الّا ان جنود كاراكلا قد ادركوهم هناك واذاقوهم الموت الزؤام برمي الحجارة

هذا ولا تزال مصلحة الآثار تهتمّ باخراج المياه الباقية في الطبقة الثالثة كما اسلفنا في مقدمة هذه المقالة ولنا الامل ان هذا المسعى الجليل يصادف نجاحاً فيغنم بذلك محبّو الآثار فوائد جمة وسنوافي قرّاء المشرق الاغرّ عما يجدّ في تلك السراديب من الاكتشافات الهامّة في مقالة خصوصية ان شاء الله

القديس توما وخلاصته اللاهوتيّة

بقلم حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

هو القديس توما الاكويني نابغة القرن الثالث عشر في الفلسفة واللاهوت اخذ دروسهُ عن البرتوس الكبير فلقبهُ بعض رفاقهِ بالثور الصامت لشدة صمتهِ وعياتهِ فخالفهُ

استاذهُ فيهِ بقولهِ : ان هذا الثور اذا عاش فسيدوي خوارهُ في المسكونة كلها . فحقّق القديس تكهُّن استاذهِ فبهر وفاق وسار صيتهُ في الآفاق فُرف بصخرة الكنيسة لا يزعزعها تيار الكفر الجارف ولا تقلقلها عواصف الاهواء الزائغة . وعمود عقائد الكنيسة الذي اعتمدت عليهِ آمنة مطمئنة بعد ان ظنّها الجهلة قائمة على شفير التلاشي . ومِجن الدين الكاثوليكي يناضل عنهُ نضالًا دونهُ نضال الشتيت المتهالك فقل شباة خصومهِ العديدين . ومطرقة المبتدعين التي اندقَّت بها رؤُوس المبتدعة والملاحدة الشامخة فارتدوا خائبين خاسرين يحرقون الأُرَّم غيظًا وحنقًا . والاستاذ الملكي الذي شرب زلال المعارف من معين اللاهوت حتى ارتوى عقلهُ منهُ فحلّق في سماء الطبيعة البشرية . وشمس المدارس بعد ان اشرقت انوار حكمتهِ في اخريات ليالي القرون الوسطى فزّقت غياهب الجهالة والضلالة عن سماء المغرب . والعلّامة بين القديسين بعلومهِ الالهية والبشرية التي بزَّ بها اهلَ عصره فرأتهُ الكنيسة في مقدمة لفيف الاباء والعلماء المشاهير والقديسين الجليل بين العلماء وحسبهُ ما قالهُ البابا يوحنا الثاني والعشرون في اثناء تقديسهِ : لا حاجة لهُ الى العجائب لكي يُعدَّ في جملة القديسين من حيث انهُ اجترح من المعجزات بمقدار ما فكك من معضلات المسائل . الى غيرهِ من الاوصاف التي قرظهُ بها الاباء القديسون والعلماء الكاثوليكيون فرواهُ الرواة والمؤرخون الاثبات . ومن العجيب بعد هذا كلهِ ان يضرب صاحب دائرة المعارف عن ترجمتهِ الى ترجمة سميهِ توما الكمبيسي وبين الاثنين من الشهرة والمعرفة العلمية ما لا يجهلهُ احد

وما انا ممن يسرد اعمالهُ وفضائلهُ انما رويت ما ذكرتهُ وما سأذكره على سبيل الاستطراد مقدمة بين يدي ما يأتي من انتشار تعاليمهِ في الغرب والشرق وتعريب خلاصتهِ اللاهوتيَّة الشهيرة فمن شاء مطالعة ترجمتهِ فعليهِ بمروج الاخيار في تراجم الابرار للاب بطرس فرماج اليسوعي فانها كافية وافية بالمرام

١ في الطريقة الفلسفية الجدلية

لستُ بباحث عن ماهية الفلسفة وموضوعها وعلاقاتها بسائر العلوم الرياضيَّة والطبيعيَّة والتاريخية واللاهوتيَّة ولا بذكر اجزاء الفلسفة المعروفة بعلم المنطق وعلم ما وراء الطبيعة وعلم الادب ولا بعدّد مذاهب فلاسفة اليهود والهنود والفرس والصينيين والمصريين واليونان والرومان ولا بمستقصٍ ما طرأ على الفلسفة من الاطوار متقلبة

بين الزهو تارةً والذبول اخرى فان كل هذا لا يسعهُ صدر مثل هذه المقالة الموجزة وقد وفاهُ حقَّهُ مؤرخو الفلسفة فليراجعهُ طلّابهُ في مظانّهِ ان شاؤوا

انما اقتصر على ما يقتضيهِ البحث ويندمج في مساق الكلام وهو الاسلوب المدرسي المعروف بالطريقة الفلسفية الجدلية التي خلفتْ الطريقة الاخرى الوضعيَّة. وهذا الاسلوب ليس هو الّا اخاء الايمان والعقل وائتلاف نظام الفلسفة بنظام اللاهوت معاً ونظامهُ عند الفلاسفة قائم في تجزئة الموادّ العلميَّة المتنوعة وفي ترتيب اجزاء الموضوع وفي تهيئة قضايا كلٍّ من اجزائهِ (اي الموضوع) وفي إعداد المواد بالنظام المنطقي واخيراً في حدّ وتعريف كل الالفاظ والاشياء المفتقرة الى الحد والتعريف واثبات القضايا المرتاب فيها بالقضايا المؤكدة الواضحة التي لا تفتقر الى بيّنةٍ او برهان (١

اما مشاهير الاسلوب المدرسي فلا يُذكر منهم سوى القديس يوحنا الدمشقي (+ سنة ٧٥٤) والقديس انسلموس (+ ١١٠٩) وبطرس اللمبردي (+ ١١٦٠) والبرتوس انكبير (+ ١٢٨٠) والقديس توما الاكويني (+ ١٢٧٤) والقديس بناونتورا التوسكاني (+ ١٢٧٤) ودون يوحنا سكوت (+ ١٣٠٨) وليسوا من الفلاسفة الوضعيين بل هم اساتذة من شأنهم ان يجمعوا الحقائق التي يتوصل العقل البشري الى معرفتها بذاتهِ وينظموها في سلك فلسفي سهل المنال مستندين فيها الى القياس المنطقي الذي هو دعامة الفلسفة الجدلية التي عُرفت عند الخاصّة من ذويها بفلسفة القرون الوسطى

واول من جرى على هذا الاسلوب هو القديس يوحنا الدمشقي كبير فلاسفة العصر المتوسط وكتابهُ المئون (المقالات المائة) هو مختصر في اللاهوت الاعتقادي رتَّبهُ على نسق فلسفي جامعاً فيهِ ضروب الفصاحة والبلاغة مماً قدمهُ بسببهِ ابا الفلاسفة واللاهوتيين المدرسيين

على ان الْمُجلّي في هذه الحلبة انما هو القديس توما المدعو ملاك المدارس الذي

---

١) يُقسم علم اللاهوت الى طريقتين الطريقة المعروفة بالوضعية (Théologie positive) وغايتها البحث عن حقائق الايمان في الاسفار المقدسة وتقليد الكنيسة المتواتر. والطريقة المدرسية (Théologie scolastique) وجلّ مقصودها ان تفسّر المعتقدات الموحى بها باظهار حقيقتها وحدودها واسبابها ومفاعيلها مع العلاقة التي تربط بعضها ببعض وبيان موافقتها للعقل والردّ على حجج مناقضيها ومجمل القول انّ الطريقة اللاهوتية الوضعية تبحث عن وجود العقائد والمدرسية تسعى في ادراك تلك الحقائق الاعتقاديّة (المشرق)

طرس على آثار القديس اوغسطين العلامة الشهير. قال الاب مارين دي بواليف اليسوعي في كتابهِ الفلسفي: ان توما كان معدن النظام واوغسطين معدن الاختراع ذاك جمع الموادّ كداود وهذا شاد البناء. كما ان ذاك كان افلاطونياً مسيحياً بحتاً وهذا كان ارسطوطاليسياً كاثوليكياً قحاً ذاك اختصر وهذّب واكمل افلاطون الذي اصلحهُ ارسطو وهذا اختصر اوغسطين وارسطوطاليس مفسّراً ما وضعهُ هذا وشارحاً ما ألّفهُ ذاك وبالنتيجة ان اوغسطين ألّف بين افلاطون وارسطو واما توما فألّف بين الثلاثة جميعاً. وعليهِ قد اصاب المعلم كوزان فيما قالهُ عن توما: انهُ اراد ان يكون استاذاً فعزّ نظيرهُ وانفرد بفصاحتهِ فلُقّب بشمس المدارس وسما بعضاً. اقوالهِ فكُنّي ببوق الكنيسة واجاد في سمو تآليفهِ فدُعي الاستاذ الملكي. اجل لا جزالة ولا بهرجة ولا بلاغة لانشائهِ ولكنهُ ذو قوة وايجاز وطلاوة تخلب الالباب. واخطر من هذا ما شهد السيد المخلص بخطورة تآليفهِ حيث خاطبهُ وهو جاثٍ ومصلٍّ لدى صورة المصلوب بهذه الالفاظ الالهية: «يا توما قد كتبت عني حسناً فما تكون مكافأتك». فاجاب الاستاذ القديس: «ما هي الّا انت وحدك». فما اعظمها شهادة صادق عليها لا مؤرخو عصره فقط بل البابا اقليميس الثامن ايضاً. وسترى في الفصل الآتي ما اصابت تآليفهُ من الاعتبار والانتشار

ومن اشهر مؤلفاتهِ «الخلاصة اللاهوتية» التي بسط فيها المباحث اللاهوتية والفلسفية والادبية بطريقة القياس المنطقية فبينا هو يتحد فيها الايمان والعقل ويقرن الى الحكمة البشرية الحكمة الالهية السامية ويؤالف بين مبادي الفلسفة واقوال الآباء القديسين المشاهير تراهُ يميّز بين الايمان والعقل ويحمي ذاك ويرقي هذا الى اسمى درجات الطبيعة البشرية. فخلاصتهُ هذه خلاصة الفلسفة التامة. وقد طبعت في جملة مؤلفاتهِ في رومية سنة ١٥٧٠ وسنة ١٥٧١ وطبعت في باريس سنة ١٦٣٦ وما بعدها وطبعت في البندقية سنة ١٧٤٥ وطبعت في برم من صقلية سنة ١٨٥٢ وما يليها. وقد لُخصت هذه الخلاصة وترجمت الى لغات اخرى عدة ترجمات مما لا محلّ لذكره هنا. ونقلت ايضاً الى اللغة العربية مرات مما ستقف عليه في الفصول التابعة من هذه المقالة ان شاء الله

٢ في انتشار التعاليم التوماوية

وعليه أعجب الاحبار العظام بالقديس توما واجلّوا حكمته البالغة وانزلوها منزلتها العالية وأطروها غاية الاطراء. فشهد اقليميس السادس ونيقولاوس الخامس وبنادكتوس

الثالث عشر وسواهُ من الاحبار بما اولى تعليمهُ الكنيسة الجامعة من عجيب الرونق والبهاء. واعترف البابا بيوس الخامس بان تعليمهُ يخزي البدع ويفنّدها ويبيدها ويقي العالم المعمور باسرهِ من الغوايات الوبائية. وقال ايضاً البابا اقليميس الثاني عشر: ان الكنيسة قد جنت من مصنفاتهِ ثماراً كثيرةً فهو خليق بما تؤدّيه الكنيسة من الاجلال لكبار أئمّتها من مثل غريغوريوس وامبروسيوس واغسطينوس وايرونيموس

بل تنافس بهِ آباء المجامع المسكونية حتى كأنهم رأوه في مجامع ليون وونّة وفلورنسا في مقدّمة لفيف الآباء فيما يتداولونهُ ويبرمونهُ من الاحكام مفنّداً بعزيمتهِ الناهضة اضاليل الشاذّين والمبتدعين والبرهانيين الجاحدين. قال الطيّب الاثر البابا لاون الثالث عشر: على ان اعظم ما حُفَّ بهِ من الاجلال وخُصَّ بهِ دون غيره من مشاهير الكاثوليك قد اتاه من آباء المجمع الواتيكاني لمّا اقاموا على المذبح في بهرة المجمع المقدّس كتاب القديس توما الاكويني المعروف بخلاصة اللاهوت مفتوحاً الى جانب الصحف المقدّسة والخطوط الحبرية يرتشفون من منهلهِ زلال الاراء السديدة والنصوص والاسانيد الكريمة

وقد رأى احبار رومية العظمى ان يكون القديس توما بمنزلة دستور واستاذ تتفقّه بحكمتهِ المنتديات العلمية والمدارس الكبرى آمنةً من مزالق الزلل وبوادر الخلل قال البابا اوربانس الخامس في اثناء كلامهِ الذي وجههُ الى منتدى طولوز العلمي ما تعريبهُ: «انا نريد بكم ونأمركم بمقتضى رسالتنا هذه ان تتبعوا الطوباوي توما لكونهِ صادقاً وكاثوليكياً بحتاً وان تكبّوا بكل عزمكم على بسطهِ». وحذا حذوهُ اينوكنت الثاني عشر في امرهِ المنفذ الى مدرسة لوڤان الكلية. وجرى على منهاجهِ بنادكتوس الرابع عشر في امره الذي صيرهُ الى المدرسة الديونيسيانية القريبة من غرناطة. وقال اينوكنت السادس وقولهُ فصل الخطاب في اتباع التعاليم التوماويّة وهذا حرفهُ: «ان لتعليم القديس توما مزيةً على سائر التعاليم ما خلا الاسفار المنزلة باحكام كلامهِ وضبط تعابيرهِ وصحة قضاياه فمن يتمسّك بهِ يأمن الشرود عن الصراط القويم وما ناقضهُ احد في وقت ما الّا سقط في شبهة الضلال. وأحرِ بهذا القول السامي ان يُكتب بالتبر لا بالحبر على وجه الدهر بياناً لقدر الحكمة التوماوية الباهرة

فاصاخ الغرب الى صوت هداة الكنيسة ومناور حكمتها في مجامعها العامّة واقبل

اهلهُ على ان يتصفحوا تصانيف هذا النابغة الخالد الذكر باجتهاد ليس وراءهُ زيادة لمستزيد بل ان يكبّوا على دراسة حكمتهِ البالغة وتحصيل تآليفهِ الرائعة برغبةٍ ليس بعدها مطلع لناظر من مثل سوارس اليسوعي الفيلسوف واللاهوتي الشهير وبسويت الخطيب والفيلسوف الخطير وسواهما من مشاهير الفلاسفة والأئمة اللاهوتيين في الاعصر الغابرة

واوعز واضعو الطرائق الرهبانية الى مقتفي خطتهم ومنتهجي طريقتهم بدراسة المعارف التوماوية وحذروا على ايٍّ منهم الحيد او الزيغ عن جادَّتها المثلى ولو قيد خطوة من مثل الرهبان الدومينيكيين والرهبان البناديكتيين والرهبان الكرمليين والرهبان الاوغسطينيين والرهبان اليسوعيين الافاضل وسواهم على ما شهدت بهِ كتب قوانينهم وطرائقهم

وكنت ترى اذ ذاك معاهد الادب ومنتديات العلم التي عمرت بالغرب منتشرة في باريس وسلامنك ودواي وطولوز وبادوا وبولونيا ونابولي وكوميرا والقلعة (Alcala) الى اخرى غيرها كثيرة كانت حجة الفلسفة في معضل القضايا بلا معارض ومرمى غرض المستفيدين في عويص المشاكل اللاهوتية بلا منازع. وقد كان القديس توما استاذ هذه المعاهد الخطيرة التي دُعيت بكل صواب معاهد الحكمة البشريَّة وكان اساتذتها وطلبتها اجمعون يرتاحون الى تعاليمهِ السامية دون سواهُ ويجمعون على الوقوف عنده والتعويل عليهِ وكفى بهذا دليلًا واضحًا على انتشار الحكمة التوماوية في الغرب بما لم يسبق اليهِ سابق في احد العصور الدارجة (انظر خط البابا لاون الثالث عشر الصادر في ٤ آب سنة ١٨٧٩)

واما في المشرق فلم تُنشر التعاليم التوماوية بين شعوبهِ الَّا بعد ارتداد الطوائف المنفصلة الى الوحدة الكاثوليكية فاقبلوا على ارتشاف زلال حكمتها الصافية بعد ان ادركوا خطورتها. واول من اعرفهُ منهم انما هو طيموثاوس اسحق مطران آمد (١ السرياني الكاثوليكي الذي استشهد بالقديس توما ونشر آراءهُ بين الشرقيين وتجرَّأ

١) هو اسحاق ابن جبير الذي روى ترجمتهُ حضرة الخوري اسحاق ارملة في العدد السابق من المشرق (ص ٢٨٦)

في طريقتهِ المدرسية الجدليّة في كتابهِ الملّم: مدرك النجاة ومحجة الفوز بالحياة (١ انظر منهُ الفصل الـ ١ من الاصحاح الـ ١ في القول عن الاتّحاد الاقنومي وامكانهِ

وبعد ان تلقّى تلاميذ باقي الشرقيين معارفهم في المدارس الرومانية واول من اعرفهُ منهم العلامة اسطفان الدويهي الذي اكثر من سابقهِ في الاستناد الى مار توما في كتابهِ الخطير المسمى بمنارة الاقداس في تفسير القداس · والثاني الفيلسوف الخوري بطرس التولوي الذي جرى على آثار القديس توما وفاق كل متقدّميه في الاكثار من الآراء التوماوية في كتابهِ المعروف باللاهوت النظري في اجزائهِ الخمسة · واقف عند هؤلاء العلماء المشاهير خوف ملل القراء الكرام

٣ في تعريب الخلاصة اللاهوتية

على ان هذا السند وتلك الشهادة ليسا هما الّا ثمدًا من قطر ووشلًا من بحر لا يدفع امج طلّاب المبادئ الفلسفية والاصول اللاهوتيّة الجدلية في ذلك العهد الذي كان الاباء والعلماء احوج فيه الى مدافعة مناهضي الدين الكاثوليكي في ارتدادات الطوائف الشرقيّة المعروفة فشمّر اهل المعرفة عن ساعد الجد الى اخراج تلك اللآلئ التوماوية من اصداف العجمة وابرازها مجلوّةً على رؤاها تتهادى في حلّتها العربية الانيقة · وهانذا اذكر من عرفتهُ من هؤلاء الثلّة الافاضل الواحد تلو الآخر ببعض تقديم وتأخير اقتضاهُ المقام

١) لا بد من ادراج فصول الكتاب للتعريف به وهي: الاصحاح الاول في الاتحاد الاقنومي وامكانهِ · والاصحاح الثاني في خاصة الاتحاد الاقنومي! والاصحاح الثالث في قوام التجسد · والاصحاح الرابع في بيان كيفية صيرورة التجسد · والاصحاح الخامس في كيفية صيرورة التجسد من طرف الطبيعة المأخوذة · الاصحاح السادس ان الكلمة اخذ الطبيعة الانسانية بكل اجزائها الذاتية حقيقيًا · الاصحاح السابع في كيفية اقتران التجسد وما يتبعهُ الى حد غايتهِ · وكل اصحاح منفصل الى فصول وكل فصل مجزأ الى مقاصد · والمؤلف يفند فيها النسطورية واليعقوبية والمونوثلية والاريوسية والمرقيونية وسواها من اضاليل الشرق · ومن يستشهد بهم من اللاتين ما خلا القديس اوغسطين القديس توما والمعلم سكوتو · فالظاهر ان المؤلف اخذ شهاداتهم اما بنفسهِ او بواسطة احد رهبان الفرنجة الفرنسيسيين او الكبوشيين او اليسوعيين · وجزء كبير من هذا الكتاب مورد بادلتهِ وشهاداتهِ في كتاب المرآة الوضية او الجلية ليوسف الثاني بطريرك الكلدان وعلى كل يصح قول السمعاني ان الاسناد والشهادات غير مدققة انظر وصف المرآة في مكتبتهِ الشرقية (٣: ٦٠٥)

والنسخة التي بيدي من مخطوطات القرن السابع عشر امتلكها فتح الله بن سفر الشمّا السرياني في ٢٥ ايلول سنة ١٧٢١ وخطها ليس بجلي واضح

فنهم الحصروني وهو الاسقف يوحنا بن حاتم بن شمعون بن فهد الحوشبي الحصروني الماروني اخذ دروسهُ عن مدرسة رومية المارونية وفي سنة ١٦٠٣ رقاهُ البطريرك يوسف الرزي الى الاسقفيَّة وبعث بهِ الى رومية في حاجات الطائفة فنهض بعب‍. بمثهِ بما عهد بهِ من النشاط. وفي سنة ١٦٠٦ انتهى الى حلب قضاء لبعض المهامّ فحمل الطائفة فيها على متابعة الحساب الغريغوري دون مبالاة بخصمائهِ الذين بذلوا اقصى الجهد في مناهضتهِ فاخفقوا سعياً. وعاد الى رومية فادركتهُ الوفاة فيها سنة ١٦٣٢ ومن آثارهِ الادبيَّة ترجمتهُ للجزء الاول من الخلاصة اللاهوتيَّة ولا ادري ما جرى بها وما هي قيمتها العلمية (انظر ص ١٨٥ و٢٠٣ و٤٥٠ من تاريخ الدويهي)

ومنهم التولوي وهو الخوري بطرس بن بطرس بن اسحق زيتون التولوي والحلبي الماروني ولد بتولا من عمل البترون وتلقى دروسهُ بالمدرسة السابق ذكرها وفي سنة ١٦٨٢ اعلاهُ العلامة البطريرك اسطفان الدويهي الشهير الى درجة الكهنوت وعهد اليهِ مناظرة اوراق الكرسي البطريركي الى ان ارسلهُ الى خدمة موارنة حلب فاظهر من الهمة في الخدمة في سبيل الله والقريب ما يخلد لهُ الاحدوثة الطيبة الى ما شاء الله ولقي ربهُ فيها سنة ١٧٤٦. اقرأ ترجمتهُ في المشرق (٦ : ٧٦٦–٧٧٢) ومن تركتهِ العلمية على ما شافهني بهِ حضرة صديقي الفاضل الخوري ق.... تعريب الخلاصة اللاهوتية قال انهُ رأى هذا في نسخة مكتبة حلب المارونية الآتي ذكرها التي كانت باقية عند جناب الاديب موسى افندي صفير صاحب مكتبة المعارف فأطربني هذا الخبر الذي جهلتهُ في جدول تآليف التولوي (المشرق ٦ : ٧٧٥) واقبلت في رحلتي الاخيرة الى بيروت على طلب هذه النسخة لاعادتها الى المكتبة المذكورة ولكن ما اشدَّ ما كانت خيبتي عند مراجعتها حيث رأيتها من تعريب اسحق بن جبير الآتي ذكرهُ والظاهر ان صديقي شبَّه عليهِ اسحق هذا بمجد التولوي فظنَّهُ اياهُ وشتَّان بين الاثنين

ومنهم الموصلي وهو المطران اسحق بن عبد الحي بن جبير الموصلي السرياني(١) ولد بالموصل في الربع الثاني من القرن السابع عشر وتلقى دروسهُ الابتدائيَّة بها واتمها برومية فغدا ماهراً في السريانيَّة واللاتينيَّة عارفاً بالعربيَّة واعتنق الكثلكة في جملة من اعتنقها اذ ذاك فجعلهُ البطريرك اغناطيوس بطرس غريغوريوس الكاثوليكي مغرباناً على الشرق

(١) اطلب ترجمتهُ في العدد السابق (٢٨٦–٢٩١)

بعد ارتقائه الى البطريركية في سنة ١٦٧٨ فجعل اسحق مقرَّهُ في آمد (دياربكر) يتحمّل مناصبة اعدائهِ اليعاقبة له حتى اضطرُّوه الى الرحيل فارتحل عنها الى حلب الشهباء. وعمرها مدة الى ان استطاع الهرب الى رومية في رفقة يشوع عبد الاحد مطران اورشليم ويوسف سفر مطران ماردين وبعد وفاة بطريركهِ السابق الذكر اختارهُ الكاثوليك بطريركًا في خبر ليس هنا محلّهُ (١ وهو اذ ذاك في الاستانة ولا باس ان اختصر الخبر فاقول انهُ آثر العزلة على البطريركيـة وقفل عائدًا الى رومية في سنة ١٧٠٦ وقطنها اعوامًا متطاولة الى ان استأثرت بهِ رحمة الله في سنة ١٧٢١. ومن آثاره الادبية (٢ ترجمة الخلاصة اللاهوتيَّة (٣ في اربعة مجلدات ضخمة. المجلد الاول في ٦٨١ صفحـة كبيرة ويحتوي على القسم الاول من الاصل اللاتيني وينتهي بالبحث المائة والتاسع عشر: في انتشار الانسان بالنظر الى الجسد. والمجلد الثاني في ٥١٦ص وينطوي على الجزء الاول من القسم الثاني ويختتم بالبحث المائة والرابع عشر: في ان الاستحقاق معلول النعمة الفاعلة. والمجلد الثالث في ٨٧٥ ص ومداره على الجزء الثاني من القسم الثـاني وتواليه البحث المائة والتاسع والثمانون: في الدخول الى الرهبنـة. والمجلد الرابع في ٤٠٩ ص ومضمونهُ القسم الثالث ومصادره البحث التسعون: في اقسام التوبة اجمالاً. وهـذه النسخة الكاملة (٤ من خط واحد وقطع واحد خطها كاتبها يعقوب الارمني الاتي ذكرهُ

---

١) ذكر خبر ارتقائه الى البطريركية في جملة اخبارهِ سيادة الحبر المفضال افرام نقاشة في تاريخهِ للسريان مجلد ٢

٢) اتى عليه العلامة السمعاني وعدَّد تآليفهُ في مقالة المونوفيزيين ص ١٢٠ وفي المكتبـة الشرقية (٢: ١٠)

٣) من آثاره غير المعروفة ترجمتهُ من اللغة اللاتينية (فلسفة ارسطو جميعها) لشارحها (بطرس بارتي الباريسي المشهور بين مدرسين (كذا) باريس) ومنها نسخة في مكتبة حلب المارونيـة تحت عدد ١٩٩ وهي نسخة حسنة تقع في ٦٩٨ ص وكل صفحة ٣٧ سطرًا خطّها الشماس يعقوب السابق الذكر. وقد جاء في آخرها ما حكايتهُ: «هذا كتاب الفلسفة قد اخرجهُ الحقير برؤساء الكهنة القربان اسحق من اللغة اللاتينيَّة الى اللغة العربية برومية الكبرى حماها الله في ايام الحبر الاعظم اقليمنطوس ١١ (١٧٠٠–١٧٢١) صانهُ الله اياماً عديدة امين يا معين» ويليه بخط فرحات: «قد اقتنى هذا الكتاب واوقفه على كنيسة مار الياس الحقير في رؤساء الكهنة جرمانوس اسقف حلب بشن ٦٣ اسدياً» وذلك سنة ١٧٣٦. واقف عند هذا الوصف الى غير هذا الموضع

٤) في مكاتب حلب مجلدات متفرقة من هذه الترجمة ففي مكتبة الروم الكاثوليك نسخة من

بحبر أسود واحمر وجمل رؤوس الفصول والابحاث بحبر احمر وازرق واصفر وكل مجلد منها مبدؤ بعد البسملة بما حرفهُ: «نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه العظيم. المختصر في الالهيات لمار توما الاكويني المعلم اللاهوتي». وفي ظاهر هذه الصفحة ما خلاصتهُ: «ان جرمانوس فرحات قد اوقف هذا الكتاب وقفًا مؤبدًا على كنيسة مار الياس في مدينة حلب باعتناء يوسف بن اغوسطين الهندي وفرنسيس بن حنا حصرم في سنة ١٧٢٦» ويليها بخط جرمانوس نفسه ما حكايتهُ: «هذه هي النسخة الاولى (١ المترجمة من اللغة اللاتينية الى اللغة العربية في مدينة رومية وعليها المعوَّل لانها كلّيّة الصحة». وفي آخر كل مجلد يستفاد ما نصّهُ الحرفي: «قد اقتنى هذا الكتاب من مالهِ الحقير في رؤساء الكهنة جرمانوس اسقف حلب» فابتاع كلًّا من المجلد الاول والثاني بثلاثة وخمسين اسديًا وكلًّا من المجلد الثالث والرابع بثلاثة وسبعين اسديًا فتكون الجملة ٢٥٢ اسديًا والاسدي يساوي غرشًا واحدًا تكسيره' اذ ذاك على ٥ فرنكات فيكون ثمنها الفًا ومئتين وعشرة فرنكات من النقود الدارجة اليوم

وقد جاء في آخر المجلد الثالث ما روايتهُ الحرفيَّة: «الحمد لله رب العالمين على انعامهِ واحسانه اجمعين والذكر الصالح لوالديهِ وقديسيه امين. قد تمَّ الكتاب بعون الملك الوهاب في رومية الكبرى (٢ على يد احقر العباد الشماس يعقوب بن بقدسار القسطنطيني ارمني المذهب قاتوليقي المعبد (٣ غفر الله لهُ ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات

المجلد الاول وفي مكتبتي الخاصة نسخة من المجلد الثالث وفي مكتبة الورتبيت الفاضل بولس بليط جزء من المجلد الرابع الى نسخ اخرى في مكاتب الشرق والغرب (اطلب العدد السابق من المشرق ص ٣٤٠ وأضف على ما ذُكر هناك نسخة مصونة في دير الشير للروم الكاثوليك)

١) لا يُعترض على فرحات بترجمة المعروفي السابق ذكرها فالظاهر انها غير معروفة او غير شائعة وبالتالي غير تامة كما مرَّ بك سابقًا

٢) يذهب سيادة الحبر العالم السابق الذكر الى ان ابن جُبير عرَّب الكتاب في الاستانة وفي ظني انهُ عرَّبهُ في رومية او انهُ ابتدأ بهِ في تلك المدينة وانجزه في هذه على ما يظهر من تضاعيف هذه الحاشية

٣) عند ارمن حلب تقليد في ان المعرب ارمني على ما اخبرني بهِ حضرة صديقي العالم الورتبيت ب . . . . عن الجدلي المشهور حنا عنحاجي رحمهُ الله ولكنهُ لا يُعرف اسمهُ ولا نسختهُ المعربة والظاهر ان التقليد مسنود الى يعقوب السابق الذكر فقام في ظن البعض انهُ المعرّب وروى الخبر البعض الآخر بلا تدقيق مع انهُ الناسخ فقط

بالمسيح والدين الصحيح في اليوم الثامن من شهر كانون الاول نهار عيد حبل العذراء في بطن امها من شهور سنة ١٧٠٨ مسيحية (١ . فهذا ثاني القسم الثاني من مختصر مار توما الأكويني المعلم الملائكي المتكلم بالالهيات . وهو ما (عما) ترجمةٌ من اللغة اللاتينيَّة الى اللغة العربيَّة العبد الضعيف النحيف الحقير في رؤساء الكهنة القربان اسحق الموصلي ابن المرحوم شماس عبد الحي سرياني البيان قاتوليقي الجنان عفى الله عنهُ وعن والديهِ . فصار ذلك برفقة اخوتنا الكرام المطران يشوع خادم القدس الشريف واسقف (كذا) سغر لسقف ماردين حرسهما الله وعفى عنهما وعن والديهما اجمعين امين يا معين . حُرِّر في كنيسة السريان داخل روميـــة الكبرى » . وبعدها كلمات مكشوطة لا يتبين منها سوى : وقف « الدير المومى اليهِ » انتهى

وهذا التعريب اول تعاريب الكتاب التامّة المعروفة واصدق دليـــل على جلَد ابن جبير وجزيل فضلهِ على ابناء جلدتهِ الشرقيين في نشرهِ مثل هذا الكتاب الجدلي الفلسفي واللاهوتي المنقطع النظير . تغمَّد الله معربهُ وناسخهُ ومقتنيهِ بالرحمة والرضوان

٦ في معارضة ترجمة الخلاصة

ولما قضى الله بافضاء الرئاسة الكبرى البطرسيَّة الى داعية البشر البابا لاون الثالث عشر وجَّه طرف عنايتهِ الى انعاش الحكمة الحقَّة بعد خمولهـــا فاشار في خطهِ الرسولي الآنف الذكر الى تعليم العقائد الدينية والحقائق الفلسفيَّــــة على الطريقة التوماويَّة واعتماد كتابهِ الموصوف فهبَّت مدارس الغرب الى اقتباس فوائده من خلال حكمتهِ البالغة في حين ان ترجمة المار وصفها كانت في الشرق ملقاة في زوايا المكاتب لا يستفيـــد منها الخاصة شيئاً فضلاً عن العامَّة . فدفعت عندها النخوة الشرقيَّة سيـــادة المجتهد العلامة المفضال المطران بولس عواد الى ان يصرف منتهى عنايتهِ في تعريبها عن الاصل اللاتيني تعريباً جامعاً بين البلاغة والاحكام وابرازها من تحت ملزم الطبع الى عالم القراء ليعلم نفعها الخاص والعام . وهنا لا بدَّ من معارضة ترجمتهِ بالترجمة القديمة ليظهر لك فيها مزية هذه على تلك يسوق اليها مساق المقابلة وان تكن من المقررات الواضحات وضوح الشمس في رابعة النهار . وقد اخترت الفصل الـ ٤ من البحث والقسم الاولين لاختصـــارهِ خشية ملل القراء وهو هذا :

---

١) اي قبل وفاة المعرب بثلاث عشرة سنة

الترجمة الجبيرية

هل التعليم المقدس هو علم عملي

اعتراض اول يقولون ان التعليم المقدس هو علم عملي لكون غاية العلوم العلمية هي العمل كقول الحكيم في ب (٣) من الالهيات والتعليم المقدس قد ترتب للعمل كقول يعقوب الرسول صح ١ كونوا فعلة الكلمة لا سامعيها فقط. فاذًا التعليم المقدس هو علم عملي

ع ب يقولون ان التعليم المقدس ينقسم الى العهد العتيق والجديد والشريعة تتعلق بالعلم الفقهي فهذا علم عملي فاذًا التعليم المقدس هو علم عملي

فهذا خلف لكون كل علم عملي هو في الاشياء العملية الواجب فعلها للناس كالفقه في اعمال الناس والمعارية في افعال البناء والتعليم يختص بالله اوليًا وافعاله تعالى بالحري هم الناس فاذًا التعليم المقدس ليس بعلم عملي بل بالحري نظري

المقصد في ان التكلم بالالهيات المقدس هو علم عملي ونظري بنظام عالٍ لكنهُ نظري اوفر من ان يكون عمليًا. الدليل نقول كما مرَّ ان التعليم المقدس اذ يقوم واحدًا فيمتدّ الى الامور المتعلقة بالعلوم الحكمية المختلفة بسبب التصوير الصوري فهذا يراعى بامور مختلفة اعني من حيث انها معروفة بالنور الالهي فحقًا ان العلوم الحكمية بعضها نظري وبعضها عملي ولكن التعليم المقدس يتضمن كليهما كما ان الله تعالى يعرف ذاتهُ القدسية ومصنوعاتهِ بعلم واحد لكنهُ نظري اكثر من ان يكون عمليًا لكونهِ يبحث خاصةً عن الامور الالهية اوفر من بحثهِ عن الافعال البشرية التي يشتغل بها حسبما يرتب بها الانسان الى معرفة الله الكاملة القائم بها السعادة الابدية

ومن هذا بيان جواب الاعتراضات

الترجمة المؤادية

هل التعليم المقدس هو علم عملي

يتخطى الى الرابع بان يقال يظهر ان التعليم المقدس علم عملي لان غاية العلم العملي العمل كما قال الفيلسوف في الالهيات ك ٢ م ٣ والغرض المقصود من التعليم المقدس هو العمل كقولهِ في يع ١ : ٢٢ (كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين لها فقط) فاذًا التعليم المقدس علم عملي

٢ وايضًا ان التعليم المقدسَ ينقسم الى شريعة عتيقة وشريعة جديدة . والشريعة من قبيل علم الاخلاق الذي هو علم عملي . فاذًا التعليم المقدس علم عملي

لكن يعارض ذلك ان كل علم عملي يبحث عما قد يمكن ان يعملهُ الانسان كما يبحث علم الاخلاق من افعال الناس وعلم البناء من الابنية . والتعليم المقدس يبحث بالاصالة عن الله الذي هو بالاحرى صانع الناس فاذًا ليس علمًا عمليًا بل نظريًا

والجواب ان يقال ان التعليم المقدس على كونهِ واحدًا يعمُّ ما تبحث عنهُ علوم فلسفية متمايزة لانهُ ينظر الى الامور المتمايزة من جهةٍ صورية جامعة اي من حيث هي مدركة بالنور الالهي : فاذًا وان كان النظري من العلوم الفلسفية غيرًا والعملي غيرًا فالتعليم المقدس مع ذلك شامل كليهما كما ان الله ايضًا يعلم نفسهُ وآثارهُ بعلم واحد . الَّا ان كونهُ نظريًا ارجح على كونهِ عمليًا لان بحثهُ عن الامور الالهية آصل منهُ عن الافعال الانسانية التي انما يبحث عنها من حيث ان الانسان يتأدى بها الى معرفة الله التامة القائمة بها السعادة الخالدة

وبذلك يتضح الجواب على ما اعتُرض بهِ

فمن تتبّع هذين التعريبين دون كدّ ذهن، وتصفّح اساليبهما بلا اعمال روية واعتبر بعضهما ببعض فلا جرم انه يرى التعريب القديم حسناً على الجملة ولكنه قلق الاسلوب ساذج الانشاء والعبارة فيه غير نضيجة بل غير مهذّبة والمعرّب رحمه الله على معرفته بالعربيّة جرى فيه على الاصل اللاتيني الّا ما اشكل عليه بيانه فافرغه في مثال تلك القوالب التي يبدو على اكثرها مسحة العجمة (اي التعريب الحرفي) وابرزه في مثل تلك الالفاظ التي لا تخلو من هجنة العامي وهذا احد الادلّة على قلة خلاصته من مصنفات الحكمة حتى يتخيّر في التعابير ما تخيّره فلاسفة العرب من الالفاظ المنتقاة والمصطلحات الفلسفية المتداولة المشهورة على ما يعرفه اهل الذوق السليم(١. على ان هذا لا يغضّ من قدره ولا يحطّ من فضله فهو السابق في هذه الحلبة المجلّي في هذا الفضل وقد جاء بما وسعه ذرعه وهل يطالب المرء باكثر ممّا عنده فليس فوق الطاقة مطلب

واذا اعتبر التعريب الحديث وجده انقى ديباجة واخلص الفاظا واكثر تفنناً بل يرى من المتانة والاندماج والانسجام وانقياد الاغراض وانتقاء الالفاظ ما يخيل له في عبارة سيادة المعرب ان هناك جوهراً صافياً ونسقاً مطرداً لا يتوقف دونه الفكر ولا يعترض بيانه لبس ولا اشكال ولو لم يكن لسيادته فيه الّا انه كساه من ديباجة لفظه ووشّي بيانه ما جعله من الطراز الاول بين المعرّبات في هذا العصر الزاهر لكفاه دليلاً على غزارة فضله ورئاسته بين ارباب البلاغة وامراء الانشاء.

وقد حسن هذا التعريب الدقيق العزيز النظير في بابه وقعاً في العالمين فتبسم له ثغر الابن الاقدس والسادة البطاركة والطارنة مسرّةً وارتياحاً وترنّحت له معاطف العلماء اللاهوتيين إكباراً واجلالاً وشرفه عظماء الدين والعلم برسائل عديدة اودعوها اطيب الثناء على براعته واجزلوا له فيها من عبارات التنشيط وامر الحبر الاعظم ان يُطبع المجلدان الاولان من تعريبه الموصوف على نفقة الكرسي الرسولي. ومن الغريب ان يكون بلديّه الحصرونيُّ السابق الى تعريبه هذا الاثر الخطير كما ان سيادته حفظه الله السابق الى ابرازه الى عالم المطبوعات العربية فجاء من الصالحات الباقيات التي تستنطق له افواه الناطقين بالضاد بالحمد والثناء.. فالله نسأل ان يأخذ بيده في متابعته واطراده عوداً على بدء انه اللطيف الكريم

١) نظنّ ان حضرة كاتب المقالة بالغ في وضعه من قدر الترجمة الحيرية (المشرق)

ذيل

يضطرني الحق الصراح الى ان اعلن على رؤوس الملا ان سيادة المرب المفضال نشر المجلد الاول من ترجمته سنة ١٨٨٧ قبل ان يقف على الترجمة الجيبرية السابق وصفها بنحو سنتين على ما يشاهد بكل جلاء في وصل استعارته هذه الترجمة المصون في خزانة مكتبة حلب المارونيّة فاقتضى التنبيه دفعاً لظنون من يزعمون بان سيادته طالعها او استعان بها من قبل ولن يكن من المعروف المقرر انه حفظه الله ليس هو ممّن يحومون على مثل هذا الورد

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿ أدباء المغرب ﴾ انّ اخبار المغرب تكاد تكون مجهولة في اصقاعنا فدونك النزر القليل الذي امكننا جمعهُ من تراجم أدباء تلك الجهات

(سليمان الحرائري) هو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرائري الحسني ولد في تونس سنة ١٢٤١ (١٨٢٤) واصلهُ من اسرة قديمة قدمت من العجم الى المغرب فدرس العلوم الدينيّة في وطنه ثمّ تفرّغ لدرس اللغة الفرنسويّة والعلوم الرياضية والطبيعيّات والطب. وعهد اليهِ تدريس الرياضيّات في بلده وعمرهُ ١٥ سنة ثمّ اتّخذه باي تونس كرئيس لكتاب ديوانه. وفي سنة ١٨٤٦ قدم الى باريس فصار احد اساتذة مدرسة لغاتها الشرقيّة وكان يحرر في جريدة عربية هناك تُدعى البرجيس. ونشر فيها قسماً من سيرة عنترة وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ثمّ طبعهما على حدة. وممّا طبعهُ في تونس كتاب مقامات الشيخ احمد بن محمّد الشهير بابن المعظم احد ادباء القرن الثالث عشر للمسيح. ووصف معرض باريس سنة ١٨٦٧ في كتاب سمّاه عرض البضائع العام. ولهُ رسالة في القهوة دعاها « بالقول المحقّق في تحريم البنّ المحرق ». وعرّب الاصول النحويّة للنحوي الفرنسويّ لومون (Lhomond). وكذلك وضع كتاباً في الطبيعيّات والظواهر الجويّة لخّصهُ عن كتب الفرنج وسمّاهُ رسالة في حوادث الجوّ وطبعهُ سنة ١٨٦٢ في

باريس. ولا نعرف تاريخ وفاة الجزائري ولعلَّهُ مات بعد سنة ١٨٧٠ الَّا انَّ تآليفهُ كلها قبل هذا العهد

(محمَّد التونسيّ) هو محمَّد بن عمر بن سليمان التونسي ولد سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩م) وتخرَّج على شيوخ الازهر في مصر ثمَّ سافر الى درفور والسودان وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ: كتاب تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. وقد طبعت هذه الرحلة على الحجر في باريس سنة ١٨٥٠ بهمَّة المستشرق الفرنسوي بارون (Perron) الذي نقل مضامينها الى الفرنسوية وذيَّلها بالحواشي. ولما عاد التونسيّ من رحلتهِ خدم الاداب في مطبعة بولاق فتولى تصحيح مطبوعاتها. توفي سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)

(محمود قبادو) هو الشيخ السيد ابو الثناء محمود قبادر الشريف. كلف باحراز الاداب فنال منها نصيباً وافراً. وكانت لهُ ذاكرة عجيبة لا ينسى شيئاً ممَّا سمعهُ قيل انهُ سمع يوماً رسالة افرنسية وهو لا يعرف تلك اللغة فاعادها بحرفها. وكان متضلعاً بكل علوم العرب لكنهُ برَّز في الشعر وكان يقولهُ بديهياً. ولهُ ديوان شعر في جزئين جمعهُ تلميذهُ الشيخ عبده محمد السنوسي فطبعهُ في تونس (١٢٩٣—١٢٩٦). توفي السيد محمود ولم يدرك الخمسين من عمرهِ نحو السنة ١٢٨٥ (١٨٦٨). وكان بينهُ وبين الكنت رشيد الدحداح صداقة ومراسلات. وقد روى لهُ الشيخ رشيد بعض الآثار الدالَّة على فضلهِ من ذلك تشطيرهُ لقصيدة بشر بن عوانة في مبارزة الاسد بعد ان افتتحها بابيات حسنة يقول فيها:

أفاطمَ هل علمتِ مضاء عزمي ومطمح همَّتي نفوًا وكبرا
وَجُود يدي واقدامي وبأسي ولا اعمي لباني العُرف امرا
تلين لمن يسالمني قناتي وتصلب ان يَرُم ذو الغمز هصرا
واني لا أعدُّ الوفرَ ذُخرًا ولكنّي اعدُّ الذكر ذخرا
وما كلُّ المُلاّل تُذاع بأوًا ولا كلُّ المذاع يصحُّ سبرا
وفي التجريب ما يغني ارتيابا ويصدقُ سنُّ بكرٍ منهُ فرا

ثم يليها التشطير الذي هذا اوَّلهُ:

(افاطمَ لو شهدتِ ببطن خبتٍ) لهانت عندك الأخبارُ خُبرًا
ولو اشرفتِ في جنحٍ عليهِ (وقد لاقى الهزَبرُ اخاكِ بشرا)
(اذًا لرايتِ ليثًا رام ليثًا) وكلٌّ منهما باخيهِ مغرى

يرى كلٌّ على شفة اخاهُ (هزبرًا القيًا لاقى هزبرا)
(تهيَّس اذ تقاعس منهُ مهري) واقبل نحوهُ أَذنيهِ ذعرا
فكاد يريهُ فيخال مني (معاذرةً فقالت عُقِرت مهرا)...

ومن نظمهِ قصيدة دالية قالها تهنئة للسلطان عبد الحميد سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩) ضمَّنها عددًا وافرًا من التواريخ تفنَّن فيها على طرائق عجيبة. ومن مديحهِ قولهُ في رشيد:

فيا عجبًا لاحت بمرآة طبعهِ خبايا طباع الدهر فهي لهُ تبدو
بقيت رشيدًا طبق وَصفك مرشدًا مُجيبًا من كل الامور لك الرشدُ

أُدباء النصارى

نذكر الذين اشتهروا من النصارى بخدمة الآداب العربيَّة في هـذا الطور مدوِّنين اسماءهم على توالي الزمان

(جبرائيل المخلَّع) هو جبرائيل بن يوسف المخلع ولد في دمشق في اواخر القرن الثامن عشر وتفقَّه في العلوم العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّـة ثمَّ سافر الى مصر وبقي فيها مدَّة يتنقَّل في دواوين الانشاء في الاسكندريَّة ثمَّ عاد الى دمشق ومات نحو السنـة ١٨٥١. ومن مآثره ترجمة كتاب شهير عند العجم يسمَّى الجلستـان اي روضة الورد لصلاح الدين السعدي. عرَّبهُ تعريبًا متقنًا بالنظم الرائق والنثر المسجَّع المنسجم ثمَّ طبعهُ سنة ١٨٤٦ في بولاق. وهذا مثال من ترجمتهِ (ص ٨٤):

(حكاية) نظرتُ اعرابيًّا في حلقة الجوهرية بالبصرة، وهو يقول: اسمعوا يا ذوي النقد والخبرة، كنتُ ضللتُ في الصحراء طريق الجواز، ولم يبقَ معي من معنى الزاد ولا الجهاز، فايقنت بالهلاك، وسمحتُ لهُ بالفؤاد اذ ذاك، فبينما انا في البيداء اتلظَّى الضرَّ، واذا بي وجدتُ كيسًا ملآنًا بالدرّ، فلا انسى ما علاني من الفرح والمسرة، اذ توهَّمت ان اجد قمحًا مقليًّا في تلك الصرَّة، فلمَّا تحقَّقتُ فيهِ وعاينتُ الدرَّ والماس، دُهشتُ من الغمّ الذي لا يبرح عن الفكر بحلول الياس

في يابس البيد او حرّ الرمال فما لظامئ القلب يُغني الماس والصَّدَفُ
المعادم الزاد اذ خوى بهِ قدمٌ لهُ استوى الذهبُ المكنوزُ والخزفُ

(حكاية) كان بعض العرب يُنشد من شدَّة الظما، وقد علا عليهِ حرُّ البادية وحمى:

يا ليت قبل منيَّتي يومًا افوزُ بِمُنيتي
نهرًا يُلاطمُ ركبتي وأظلُّ املا قِربتي

(حكاية) كذلك ضلَّ في قاع البسيطة بعض السفَّار، ولم يبقَ معهُ قوتٌ ولا قوَّة اقتدار،

ما خلا يسرًا من الدراهم قد ادَّخره في وسطهِ ولم ينفقهُ في الضيق ، ولا اهتدى بعد ان طاف كثيرًا الى الطريق ، فهلك بالمشقة ، وبعد الشقة ، فمرَّ عليهِ طائفة من الناس ، فوجدوهُ قد وضع الدراهم عند الراس ، وخطَّ على التراب من عدم القرطاس :

جميعُ نُضارِ المغربيِّ لمن خلا ... من الزادِ لا يشتري شيئًا من القشرِ
ومن يحترقْ في القفر فقرًا فانهُ ... لهُ السلجمُ المطبوخُ خيرٌ من التبرِ

وفي تقريظ ترجمة هذا الكتاب قال شهاب الدين الشاعر المصريّ :

كواكبٌ اشرقتْ تزهو بانوارِ ... ام لاح لي روضُ ازهارٍ وانوارِ
كلَّا بل الألمعيُّ اللوذعيُّ بدا ... منهُ بدائعُ اسجاعٍ واشعارِ
زهتْ معاني جاسثانَ البديعةُ في ... ما صاغَ من عربيِّ اللفظِ للداري
لا غرو أن جاء جبريلُ الكريمُ بما ... مقروهُ حيثُ يتلُ يعجب القاري
معرَّب عبّرت عنهُ براعتهُ ... عبارةٌ الماهرتهُ ايّ اظهارِ
منثورهُ دررٌ في سطرهِ نُظمت ... نظمًا بلاغتهُ جاءت باسرارِ
واذ زها حسنهُ بالطبع مبتهجًا ... أرَّختُ ازهى بهيجٍ روضَ ازهارِ

(مارون النقَّاش) هو مارون بن الياس بن مخائيل النقَّاش ولد في صيدا سنة ١٨١٧ ثم انتقل مع والدهِ الى بيروت وانكبَّ على درس اللغات والآداب العربية حتى حذق فيها واخذ عن المرسلين اللاتينيين مبادئ اللغتين الفرنسويَّة والايطالية . وجعلتهُ الحكومة السنية باشكاتبًا الدواوين (كمارك) بيروت وملحقاتها . ثمَّ تجوَّل مدَّة في القطر المصري واجتمع بادبائهِ ثم ساح في انحاء اوربا ورجع مغرًى بفنّ التمثيل فعرَّب عدَّة روايات وسعى بتشخيصها وكان اول من مهَّد الطريق لهذا الصنف من الملاهي في هذه البلاد . وقد طبع بعد وفاتهِ اخوهُ نقولا المحامي الشهير قسمًا من رواياتهِ في كتاب سمَّاهُ ارزة لبنان يحتوي روايات البخيل والمغفل والحسود حذا فيها مارون حذو الراوية موليار الفرنسويّ واودعها كثيرًا من العادات الشرقيَّة . وجاراهُ في عملهِ اخوهُ نقولا المذكور وسليم ابن اخيهِ خليل فراجت بذلك سوق الروايات ويا ليتها كسدت مع كثرة مضارّها وقلَّة من يراعون فيها الآداب الصالحة . ثمَّ سافر مارون النقَّاش الى طرسوس للمتاجرة وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٨٥٥ فقال اخوهُ نقولا يرثيهِ :

بدرٌ هوى لا بل ذوى ... غصنٌ وذا مرقدهُ
نقَّاشُ علمٍ سيّد العلم ... ارتضى بسعدهِ
يا رحمة المولى على ... مارونَنا تعضدهُ
ويصبْ هاطل غيثها ... أرّخ وتتعدهُ

ثم نُقل بعد ذلك جسد المرحوم الى بيروت ودفن فيها سنة ١٨٥٦ فقال شقيقهُ :

تاديتُ مذ عاد سؤلي منتهى الاملِ　　طرسوسُ لا تاتني فيها ولا جملي
عودًا كبدرٍ تولاهُ الخسوف لـذا　　ها قد أرختُ سناهُ غير مكتملِ

وكان مارون صديقًا للشيخ ناصيف اليازجي يتساوبان على الرسالات الوديّة الادبيّة منها رسالة وجّهها الشيخ ناصيف الى مارون اذ كان في طرسوس اولها :

ماذا الوقوفُ على رسوم المنزلِ　　هيهات لا يجدي وقوفك فارحلِ

قال فيها :

يا ايها النحريرُ جهبذُ عصرهِ　　مالي اليكَ علمَ ما لم تجهلِ
انَّ المقدّم الحكيم اذاذة　　كمقدّمٍ للشمس ضوءَ المشعلِ
بُعدُ المزار على مشوقٍ لم يكنْ　　يشفى على قرب المزار الاولِ

وختمها بقولهِ :

ان كان قد بَعُدَ اللقاء لعلّنا　　فابعثْ اليَّ بلمحةِ المتعللِ

فاجابهُ مارون بما مطلعهُ :

وردتْ اليَّ من الهمام الافضلِ　　غُررُ الوشاح من الطراز الاولِ

الى ان قال :

يا من اذا سبح الزمان بمثلهِ　　ابقاك نورًا في الظلام ليَنجلي
كلُّ الرجال اذا مضوا يُرجى لهم　　بدلٌ سواك فانت بالمُستَبدَلِ
جاريتني فقصرتُ دونك همّةً　　حتى عجزتُ حتى العُذرِ لي
انَّ الضعيف مقيّدًا بلسانهِ　　مثل الاسير مقيّدًا بالارجلِ

فلمّا نُعي الى الشيخ صديقهُ بعد اشهرٍ نظم في رثائهِ قصيدتين من اجود مراثيه قال في الواحدة :

مات الحبيبُ الذي مات السرورُ بهِ　　من القلوبِ وعاش الحُزنُ والضَرَمُ
قد كنت اشكو بعاد الدار من قدمٍ　　فحبّذا اليوم ذاك البعدُ والقدمُ

ومنها :

ايُّ الفضائل ليست فيك كاملةً　　وايُّ عيبٍ تراه فيك يُتّهمُ
فيك التقى والغنا والعلم مجتمعٌ　　والحلم والحزم والاحسانُ والكرمُ
نرثيك بالشعر يا مَنْ عاش يردتهِ　　والشعر يرثيك حتى تنفد الكلمُ

تبكي عليك القوافي والمنابر والأ ... أقلام والصحفُ والآراءُ والحِكَمُ
وكلُّ ديوانِ شعرٍ كنتَ تنظمهُ ... وكلُّ ديوانِ قومٍ فيكَ ينتظمُ

وفي ختامها:

ان كنتَ قد سرتَ عن دار الفناء فقد ... نلتَ البقا حيث لا شيبٌ ولا هرمُ
انَّ السعيد الذي كانت عواقبهُ ... بالخير في طاعة الرحمان تختتمُ

وقال في المرثاة الثانية:

لا تجزعي يا نفس من حكم الردى ... ان كان ما لا بُدَّ منهُ ولا فدى
لا خير في هذي الحياة فانَّها ... تزداد سوءًا كلَّما طال المدى

ومنها:

والموت يختار النفيس لنفسهِ ... منَّا كما نختار نحن فما اعتدى
قد نال منَّا درَّةً مكنونةً ... كانت لبهجتها الدراري حُسَّدا
كثرتْ ذخائرهُ لنا فاغتالهُ ... لصُّ المنيَّة خاطفًا متمرِّدا

وختمها بهذا التاريخ:

لو غبت عن نظرٍ فقد خلَّفتَ بالتـاريخ ذكرًا في القلوب مخلَّدا

وكذلك رثاهُ الشاعر المفلق اسعد طرّاد بقصيدة طنَّانة اوَّلها:

دمعٌ ينزُّ فخذ من دمعك المحُوبا ... أما تراه يريك العجب والعجبا

وختمها بتاريخ هذا منطوقهُ:

لو غابَ قُلْ في السما تاريخهُ سيُرى فانَّهُ في نعيم الله قد حضرا

وللرون النقَّاش عدا ما خلا رواياتهِ قصائد متفرقة · وفقرات ورسائل جمع اخوهُ قسمًا منها في آخر كتاب ارزة لبنان منها منظومة في نحو مئتي بيت في علمي العروض والقوافي · ومن اقوالهِ قصيدة تهنئة رفعها الى سعيد باشا خديوي مصر سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) اوَّلها:

لسعد سعود من سلفوا جدودُ ... وسعد سعيدِ مصرَ لهُ خلودُ
اتاه النيل معترفًا بفضلٍ ... لهُ اذ فاضَ من كفَّيهِ جودُ
فهذا حكمهُ مدٌّ وجزرٌ ... وهذا حلمهُ طامٍ مديدُ
فقد بلغت مناقبهُ كمالًا ... وهما ازداد مدحًا لا يزيدُ

وكتب من الاسكندرية مجيبًا على قصيدة للخوري يوسف الفاخوري معلمهِ:

هل هلالٌ هلَّ ام اهلُ الكرمْ   نثروا التبر على خطّ القلمْ

الى ان قال :

اي ابي الروحي ولولا انني   قلتُ مَن يشبهْ اباه ما ظلمْ
فهو بحرٌ نلتُ من فيضانهِ   وانا تلميذ ذيّاك العلمْ
عزّنُ العلم وفي تدريبهِ   معدن العلم وكلّي الهممْ
قد كساني ثوب علمٍ بما   فتح الله عليهِ وقسمْ
لستُ انسى جوده حاشا ولم   انسَ اياماً تقضّت في نعمْ

وللمرحوم عدَّة تواريخ منها تاريخ على لسان اسعد ابن اخيهِ حبيب ومات صغيراً سنة ١٨٤٢ :

انّي هلالٌ قد دنوتُ من الثرى   قبل ان أتمّ فهكذا ربّي امرْ
لكن لعمري لم اغب عن منزلي   الّا لاشرق في النعيم كما القمرْ
وكما روى القاش نقش تأرّخي   لأفوز اسعد بالسعادة عن صغرْ

ومنها قولهُ مؤرخاً لوفاة البطريرك يوسف الخازن وارتقاء خلفهِ السيد بولس مسعد سنة ١٨٥٤ :

في انق كرسي انطاكيةٍ عجبٌ   بدرٌ توارى وبدرٌ فوق سدّتهِ
ان غاب ذاك واشقانا بغيبتهِ   فتاب هذا واشفانا بثوبتهِ
دعا الاله لذاك المرتضي خلفاً   ارّخت بولس مختارٌ لدعوتهِ

(ابراهيم بك النجار) ولد في دير القمر سنة ١٨٢٢ وتوفي في بيروت سنة ١٨٦٣ . كان رجلاً هماماً محبّاً للآداب منذ نعومة اظفاره فلما قدم لبنان الدكتور الفرنسوي كلوط بك رئيس اطبّاء العساكر المصرية سنة ١٨٣٧ نال من محمَّد علي باشا بان يدخلهُ مع غيره من السوريين في مدرسة القصر العيني في مصر فتلقّى فيها الدروس الطبّيّة ونال الشهادة المؤذنة ببراعتهِ سنة ١٨٤٢ ثمَّ سافر الى الاستانة العليَّة ودرس على اساتذتها المتطبّبين وبقي مدَّة هناك يتعاطى مهنتهُ فاصاب شهرةً عظيمة حتى عيّنتهُ الدولة العليَّة كطبيب اوّل للعساكر الشاهانيّة في مارستان بيروت العسكريّ . وفي سنة ١٨٤٩ تجوَّل في انحاء اوروبة وطبع في مرسيلية سنة ١٨٥٠ كتابهُ « هديَّة الاحباب وهداية الطلّاب » في المواليد الثلاثة وملخص العلوم الطبيعيّة ثمَّ عاد الى بيروت ومعهُ ادوات طبعيّة فانشأ مطبعتهُ الشرقية (اطلب المشرق ٣ : ١٠٣٢) نشر فيها تاريخ رحلتهِ الى مصر

واعقبها بتاريخ السلاطين العظام (سنة ١٢٧٢ — ١٢٧٥=١٨٥٥ — ١٨٥٨) وسمّاهُ مصباح الساري ونزهة القاري قرّظه مفتي زاده السيد محمّد مفتي بيروت بقوله:

جزا الله المؤلف كلّ خيرٍ لهذا العقد في جيد الحسانِ
اصباحٌ بدا ام بدرُ سارٍ بأفق سما البلاغة والمعاني

ومن حسن مساعي ابراهيم بك انهُ عُني باستجلاب ادوات الطباعة لدير طاميش سنة ١٨٨٥ كما ذكرنا سابقاً (المشرق ٤: ١٧٣). وكان للمترجم شعر قليل منهُ قولهُ في مدح السلطان عبد المجيد:

ملكٌ اتى على الانام ببيعةٍ احيا الزمان بها ذاتَ المُسْنَدُ
حزمٌ وعدلٌ رحمةٌ وطلاقةٌ حلمٌ وبذلٌ غيرةٌ لا تُجحدُ
دانت لباب جلالهِ أُمم الورى فغدت بشوكتهِ تسرُّ وتسعدُ
خضع السادُ لحزمهِ وبعزمهِ هزم العدى بالسيف حيث يجرّدُ
فاذا الخطوبُ تجسّمت قالوا لها عبد المجيد فانها تتبدَّدُ
واذا تصوّر في الدجنّة ذاتهُ لاح الصباح ونوره يتوقّدُ

وتوفي ابراهيم بك بعزّ كهولتهِ فقال الشيخ ناصيف اليازجي يرثيهِ:

ضاق الرثاء بنا من فرط ما اتّسعا كالماء طال عليهِ الوردُ فانقطعا

ومنها:

قد كان في طبّهِ للناس منفعةٌ فاذْ اتى الموت ذاك الطبُّ ما نفعا
وكان يبري من الناس الجراحَ فهل يبري جراح فؤادٍ بعدهُ انصدعا
سارت الى الله تلك النفس تاركةً جسماً يُرى في تراب الارض مضطجعا
كلٌّ الى اصلهِ قد عاد منقلباً فانحطّ هذا وهذا طار مرتفعا

(طنوس الشدياق) هو الشيخ طنوس بن يوسف بن منصور الشدياق ولد في اوائل القرن التاسع عشر في الحدث من سلالة قديمة اصلها من حصرون يُعرف نسبها من القرن السادس عشر. درس طنوس مع اخوتهِ في مدرسة عين ورقة وتعاطى التجارة مدةً ثم انقطع الى خدمة الامراء الشهابيين فارسلوهُ الى عكا ودمشق وقام باعباء خدمتهِ بكل نشاط واقيم بعد ذلك قاضياً على النصارى في لبنان. وقد اشتهر طنوس بمعارفهِ التاريخية. وكان كلفاً بتاريخ لبنان فصنّف كتابهُ المسمى باخبار الاعيان في تاريخ لبنان جعلهُ ثلاثة اقسام في جغرافية لبنان ثم في انساب اعيانهِ ثمّ في اخبار ولاتهِ وقد راجع في تأليف كتابهِ عدةَ مخطوطات سرد اسماءها في المقدمة. وهو ادقُّ واضبط ما

وضع الى يومنا لاسيا في تاريخ الازمنة الاخيرة وساعده في تهذيبه وتنقيحه ونفقات طبعه المعلم بطرس البستاني . وكان نجازه سنة ١٨٥٩ بعد شغل نحو خمس سنوات. وقد عُرف صاحب هذا الكتاب بتجرده عن الاغراض كما قال:

خلا تاريخنا من كلّ ميلٍ ... ومين بين اخبار الزمانِ
وجاء بعون مولانا سديدًا ... مفيدًا ما له في النفع ثانِ

ولم نعرف سنة وفاة الشيخ طنوس. ومما يُذكر من آثاره ايضًا انه كان يشتغل بمعجم الالفاظ العاميّة ولم ينجزه (١

(ابراهيم العوراء) هو ابن المعلم حنا العوراء الرومي الملكي الكاثوليكي ولد في عكّة في اواخر القرن الثامن عشر وتخرّج بالآداب هو واخوه ميخائيل على ابيهما الذي خدم في ديوان انشاء محمد باشا الجزّار ثمّ في ديوان خلفه سليمان باشا. فبرع حنا في الكتابة وضُمّ الى كتاب ديوان الانشاء تحت نظارة والده وخاله ابراهيم نحّاس وذلك سنة ١٢٢٩ (١٨١٤ م). وكان مغرمًا بتاريخ بلاد الشام يدوّن من حوادثها ما امكنهُ ثمّ جمع ذلك في كتاب ضمنهُ تاريخ سليمان باشا افتتحهُ بمجمل اخبار القرن الثامن عشر ثمّ اتسع في تاريخ الاحوال التي جرت في آخر ايام الجزّار ولاسيا في عهد خالفه سليمان باشا الى وفاته سنة ١٢٣٤ (١٨١٨) ولم يزل يحسّن هذا التاريخ ويهذّبهُ حتى انتهُ سنة ١٢٦٩ (١٨٥٣) وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة منهُ وهو سفر جليل يحتوي امورًا عديدة وتفاصيل لا تكاد تجدها في غيره روى اكثرها عن ادباء عصره وعن معرفته الخاصة ممّا عاينهُ بنفسه فزادت بذلك خطورتهُ . توفي ابراهيم العوراء سنة ١٨٦٣ فكتب الشيخ ناصيف اليازجي هذا التاريخ على قبره:

لا تجزعوا يا بني العوراء واصطبروا ... لقد ذخرتُ لكم بالانس قد فُقدا
من فوقه احرف التاريخ ناطقةٌ ... في طاعة الله ابراهيمُ قد رقدا

(ناصيف المعلوف) هو احد الذين اشتهروا في هذه المدّة بين نصارى الشرق بآدابه ومعارفه اللغويّة. وقد مرّ له في المشرق(٨ : ٧٧٣ : ٨١٧الخ) ترجمة مطوّلة بقلم الكاتب البارع عيسى افندي معلوف نقتطف منها ما يليق بالمقام. هو ناصيف بن الياس بن حنا

١) اطلب المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG. IX : 269).

الملوف. كان ابوه في خدمة الامير بشير الشهابيّ يقطن مع اسرتهِ قرية زبوغة وفيها ولد ابنهُ ناصيف سنة ١٨٢٣ فسلمهُ ابوه الى بعض افاضل المعلمين من كهنة ومرسلين فانكبَّ على درس اللغات والعلوم بكل رغبة ثم رافق في رحلتهِ الى ازمير سنة ١٨٤٣ التاجر الشهير يوحنا عرقتنجي واتمَّ هناك دروسهُ في مدرسة الاباء العازاريين واتقن اللغات التركيّة واليونانيّة الحديثة والافرنسية والايطالية حتى امكنهُ ان يصنف عدّة كتب في كل هذه اللغات (اطلب قائمتها في المشرق ٨: ١٠٤٩) لكنهُ برَّز خصوصاً في التآليف التركيّة التي اقبل عليها المستشرقون وافاضوا في مدحها ونال بسببها الاوسمة الشريفة والامتيازات الخاصة. وبين تآليفهِ ما يشهد لهُ ايضاً بمعرفة آداب لغتهِ العربيّة وحسن انشائهِ فيها وكان وجوه الاوربيين واعيانهم يحبّون ان يتخذوهُ كترجمان في امورهم لكثرة آدابهِ وطلاقة لسانهِ في كل لغات الشرق. توفي ناصيف في وباء الهواء الاصفر في ازمير سنة ١٨٦٥

هذا ما امكننا جمعهُ من مآثر النصارى في تلك المدّة ولا غرو انهُ قد فاتنا من اعمالهم شيء كثير كما اننا لم نذكر بعض الذين عرفوا بآدابهم ولم يصبر على الزمان الّا القليل من كتاباتهم كالدكتور يوسف الجلخ الذي وردت لهُ بعض خطب في اعمال الجمعية السوريّة. توفي سنة ١٨٦٦ وقد جمعت في كرّاس المراثي التي قالها الادباء في وفاتهِ منها تاريخ للشيخ ناصيف اليازجي:

قِفْ عند تُربة يوسف الجلخ الذي ... ما زال ينفعُ دينهُ دنياهُ
ولذاك نال ختام خيرٍ فائزاً ... أرّخْ برحمةِ ربّهِ ورضاهُ

ومنهم الشيخ حبيب اليازجي ابن الشيخ ناصيف توفي سنة ١٨٧٠ وسنذكرهُ مع والدهِ واخوتهِ في تسطير تاريخ الآداب في الطور الرابع ان شاء الله. ومنهم الشيخ مرعي الدحداح (١٧٨٢–١٨٦٨) كان درس في عين ورقة وكتب في دواوين الامراء وتنقّل في البلاد ولهُ رسائل وكتابات متفرّقة وقد نُشرت سيرة حياتهِ في كرّاس. قال الشيخ ناصيف في تاريخ وفاتهِ:

مضى الشيخ مرعي راحلاً عن ديارنا ... ولكن غدا في السماء لهُ قصر
واولى بني الدحداح حزناً مخلّداً ... يدومُ كما يبقى لهُ مندم ذكرُ
همامٌ تلقّى الحادثات بنفسهِ ... فتمَّ لهُ من بعدها المجدُ والفخرُ
اذا زرتَ مثواهُ فأرّخْ وقل بهِ ... عليك الرضى والعفوُ يا ايها القبرُ (١٨٦٨)

مطبوعات شرقية جديدة

Mechitar's des Meisterarztes aus Her «TROST BEI FIEBERN» übersetzt u. erlaeutert von Dr. Med. Ernst Seidel. *Leipzig, verlag v. J. A. Barth.* 1908 pp. 300.

السلوان في الحميات

هذا الكتاب لمؤلف ارمني ازهر في القرن الثاني عشر للميلاد يُدعى مكيتار اصلهُ من مدينة هار الدعوَّة اليوم خوي في بلاد العجم وكان طبيباً نطاسياً وحكيماً عالماً بالفلسفة والفلكيّات. ومن آثاره المخطوطة كتابٌ واسع وضعهُ في الحميات سنة ١١٨٤ جمع فيهِ آراء الاطباء الذين سبقوا عهدهُ من يونان وعرب وعجم ودعاهُ بالسلوان رجاء ان يفيد الاطباء بمضامينهِ فيشفوا مرضاهم من بلاء الحميات. وكان منهُ في مكتبة باريس نسخة مخطوطة تاريخها سنة ١٢٩٤ بقيت في زوايا النسيان حتى استخرجها من مكمنها الآباء المكيتاريون فنشروها بالطبع سنة ١٨٣٢. وقد بيَّن الدكتور وهرام تركوميان احد اطباء الاستانة العليَّة عظم شأن هذا الكتاب بمقالة مطوَّلة انشرها في اكاديميَّة العلوم الطبيَّة في باريس سنة ١٨٩٦. واحبَّ الدكتور سيدل موخَّراً ان يقرب منافع هذا الاثر الى العلماء الاوروبيين. بنقلهِ الى الالمانية وتذييلهِ بالحواشي والملحوظات الشافية. فنحضُّ المتطببين على درس هذا التأليف فانهُ يفيدهم معرفة آراء القدماء في الحميات وطرائقهم المختلفة في معالجتها فانَّ بعض تلك الادوية لا تخلو من المنافع في تطبيب المحمومين حتى في يومنا هذا

الاب ت. كورو

Dr Rauschen. ÉLÉMENTS DE PATROLOGIE ET D'HISTOIRE DES DOGMES. Traduits de l'allemand et adaptés par **E. Ricard.** *Paris, Roger et Chernoviz.* VIII-365 pp. in-16.

اصول معرفة تآليف الآباء وتاريخ المعتقدات الدينية

قلَّما يجد الدارسون في اللغة الفرنسويَّة كتباً تعليميَّة لدرس تآليف آباء الكنيسة. وكلُّ ما كُتب في هذا الصدد قد عتق او هو اكبر حجماً من ان يستعين بهِ طلبة العلم. وفي اللغة الالمانية كتاب محكم يسدُّ هذا الخلل ألَّفهُ الدكتور روشن احد اساتذة

كليّة يون الكاثوليكيّة. فطلب الخوري ريكارد من معلمي مدرسة اكس الأكليريكيّة الى المؤلف بان يسمح له بنقل كتابه الى الفرنسويّة مع التصرُّف ببعض اجزائه وفقًا لذوق الفرنسويين فرخّص له الدكتور في ذلك. وقد اطّلعنا على هذه الترجمة فوجدناها مناسبة للغاية المقصودة اذ هي جامعة لصفات الكتب المدرسية من وضوح وحسن تقسيم الفصول ومراعاة احوال الدارسين في اطالة بعض الاقسام وتلخيص غيرها. وقد تحقّقنا انّ هذه الصفات زادت رغبة ارباب المدارس في ذلك التاليف فادخلوهُ في جملة كتبهم التعليمية. ولا نشكّ في رواجه بين الأكليروس الشرقي ايضًا لاسيما انهُ مع كثرة موادهِ وخيص الثمن يباع بثلاثة فرنكات فقط س. ر

A LITERARY HISTORY OF THE ARABS. By R. A. Nicholson M. A., London, T. Fisher Unwin, 1907, XXX-500 pp.

تاريخ العرب الادبي

ينبئ صاحب هذا الكتاب قرّاءهُ في مقدمته بانّ غايتهُ من وضعه ليست تسطير تاريخ الآداب العربية لانّ ذلك يقتضي ابحاثًا طويلة ودروسًا واسعة لم يفكّر في خوضها وانّما اراد فقط ان يرشد الاوربيين الى بعض الالمام بآداب العرب فيمثّل لهم في كتابه افكار كتبتهم واساليبهم النثريّة والشعريّة. ولبلوغ هذه الغاية قد قسم كتابهُ الى ثلاثة اطوار واسعة اودع مضامينها في عشرة فصول. فالطور الاوّل مختصّ بعهد الجاهلية يليه طور الآداب الاوسط المعدود كعصر العرب الذهبيّ في ايام العبّاسيين. ثم الطور الثالث وهو الاخير منذ ظهور المغول الى اواخر القرن الخامس عشر للميلاد. وقد المح في كلّ هذه الاطوار ولاسيما الطورين الاولين الى الحركة الادبية بين العرب متتبعًا اخبار شعرائهم وخطبائهم وفلاسفتهم ولغوييهم وكتبتهم الدينيين. ولم يتسع في كل ذلك الّا قدر ما رآهُ مناسبًا لغايته. وانّما اختار بين شعراء العرب خمسةً ممن رآهم في الطور الثاني كقدوة زمانهم والمثال الذي على منواله نسج اخلافهم فأعمل النظر في طرائقهم الشعريّة ومعانيها ودرسها درسًا خصوصيًا وهم مطيع بن اياس وابو نوّاس وابو العتاهية والمتنبي وابو العلاء المعرّي. فنقل من كلامهم نُتفًا وسعى بان يبيّن خواصّهم الكتابية التي حذا الآخرون حذوها. على انّنا مع اقرارنا بفضل المؤلف لم نجدهُ كفوءًا لمثل هذا التاليف وقد يلوح من مطاوي كتابه انهُ لم يعرف مصنّفات العرب في اصلها العربي وانّما درسها

في كتب بعض المحدثين من الاوربيين كبروكلمان (Brockelmann) عند الالمان وهوارت (Huart) عند الفرنسويين وكذلك راجع بعض المنشورات الحديثة التي تبحث عن آداب الجاهليّة اجمالًا فالتقط منها شيئًا من فوائدها دون ان يتعمّق في مضامينها كما انهُ نقل عن تلك الكتب جداولها للمصنفات العربية دون ان يشير الى عدّة تآليف كان حقّهُ ان يذكرها وفيها من الفوائد ما لو اطّلع عليهِ لاستفاد منهُ كثيرًا كتأليف الدكتور ڤولرس في لغة قريش والطبعة الثانية من كتاب نلدكه في الاصول العربية. وكذلك لا يشير البتة الى الكتابات اليمنية التي ابطلت عدة مزاعم كان الكتبة ينقلونها بلا تروٍّ. ومما فاتهُ كتابة نمارة العربية التي وجدها العلّامة دوسُّو وهي مكتوبة بالحرف النبطي. وكذلك لو اطّلع على رسالات الدكتور كلازر لما نسب ما اكتشفهُ من الآثار اليمنية الى القرن الثامن قبل المسيح. وكان يمكنهُ في كلامهِ عن الاخطل والخنساء ان يأخذ عدّة فوائد من مقالات الاب لامنس الافرنسية في الاول ومن ديوان الثانية المطبوع في مطبعتنا وكانهُ جهل كل ذلك. وما يُقال اجمالًا انَّ تاريخ العرب الادبيّ لا يمكنهُ ان يحصر في كتاب كمثل هذا وقد رأينا الدكتور برون (Dr Browne) خصّص عدّة مجلّدات لتاريخ الفرس الادبيّ مع انّ العرب اغنى بآدابهم من العجم بكثير

ل

A. Durand S. J. L'ENFANCE DE JÉSUS-CHRIST D'APRÈS LES ÉVANGILES CANONIQUES, suivie d'une étude sur les Frères du Seigneur, in-16, XLI-287 pp., *Paris, Beauchesne et C^ie^, 1908.*

طفولية السيد المسيح وفقًا للاناجيل القانونية

وضع حضرة الاب الفرد دوران احد اساتذة الدروس الكتابيّة في مكتبنا الشرقي عدّة مقالات في طفولية السيد المسيح ليشرح ما جاء ورد عنها في الفصول الاولى من انجيلي متى ولوقا ونشرها في مجلّة الدفاع عن العقائد الدينية (Revue pratique d'Apologétique) وها هوذا قد جمع تلك الفصول المتفرقة في كتاب مستقل يسرُّنا ان نُعرف بهِ قرَّاء مجلة المشرق. وما كان ليخفى على حضرة المؤلف ما كتبهُ نكرة الوحي في هذه السنين الاخيرة لتخطئة الاناجيل المقدّسة في ما رووهُ عن ميلاد السيد المسيح من العذراء الطاهرة وعن العجائب التي رافقت الاشهر الاولى من ظهورهِ على الارض. ومن يقرأ كتاب الاب دوران يتحقق انّهُ اطلع على كلّ اعتراضات الملحدين

وهو يدونها في تآليفهِ دون خوفٍ ثمَّ يفنّدها بكل دراية ببراهين لا يرفضها غير الذين يناهضون الدين بغضاً لحقائقهِ ولا يطلبون الحقيقة باستقامة النية. وممَّا اعجبنا في كتاب حضرتهِ انهُ يجمع تلك الاعتراضات ويبيّن مناقضة بعضها للبعض الاخر بحيث لا يحتاج غالباً لتفنيدها بطريقة اخرى غير معاكستها لبعضها. وبعد تقويض كل تلك المزاعم تراه يوضح تعاليم الاناجيل المقدَّسة مبيناً صدق كاتبيها وبعدهم من كل زور ومكر ثمَّ يثبت توافق التعاليم مع بعضها ومع ما ورد في نبوءات العهد القديم لاسيما بخصوص ميلاد الرب من بتول طاهرة قبل الولادة وبعد الولادة وخلاصة القول انَّ هذا الكتاب لم يدع مسئلةً منوطة بطفولية الرب الَّا استوفى شروحها تماماً — ولهذا التأليف ملحق وهو مقالة واسعة نشرها حضرة الاب في المجلّة الكتابيَّة عن اخوة الربّ الذين ورد ذكرهم في الانجيل فاثبت بالشواهد النقليَّة والعقليَّة انهُ لا يراد في الانجيل باسم «الاخ» الاخ الشقيق من الاب والامّ بل اولاد الاعمام والاخوال. وهو جوابٌ صادق كان قدماء الاباء منذ قرون النصرانية الاولى قد اجابوا بهِ الهراطقة فافحموهم. فاستعاره حضرة الاب من تلك الموارد القديمة وأيدهُ بشواهد جديدة لا تبقي للمرتابين شكًّا في الامر. فنثني على رصيفنا الفاضل ونحضّ محبي الدروس الكتابية على مطالعة هذا الكتاب النفيس

الاب ي. ديالسينيو

Mgr. de Beauvais: La liberté intellectuelle après l'Encyclique « Pascendi ». *Paris, Beauchesne*, 1908.

البراءة البابويَّة في الاضاليل العصريَّة وحريَّة الابحاث

زعم بعض اعداء الدين انَّ رسالة البابا في الاضاليل العصريَّة التي مرَّ فيها الكلام سابقًا من شانها أن تعيق الابحاث العلمية فقام احد اساقفة فرنسة وهو اسقف مدينة بوفه في فرنسة مفنداً تلك الشكايات في تأليف صغيرٍ نحثُّ قرَّاءنا على مطالعتهِ. فقد بيَّن سيادتهُ انَّ قداسة الحبر الاعظم لم يقصد بهذه الرسالة الَّا شيئاً واحداً ان يمنع ابناء الكنيسة من الضلال فبفعلهِ هذا هيهات ان يكون اضرَّ العلوم بشيء والاحرى ان يُقال انهُ جعل للعقل البشريّ حدوداً اذا تجاوزها تاه في بيداء الوهم ووجد فيها مضرةً ليس نفعاً

ن. ل

U. Holzmeister s. J. II COR. III. 17 « DOMINUS AUTEM SPIRITUS EST » Eine exegetische Uebersicht ueber die Geschichte der Erklaerung dieser Stelle. p. X-104, 1908, *Innsbruck, Fel. Rauche.*

شرح الاية « انَّ الربَّ هو روح »

في رسالة القديس بولس الثانية الى اهل كورنتس (٣ : ١٧) آية هذا منطوقها « انَّ الربَّ هو روح » كثر فيها جدال ناكري الاسرار فانَّهم زعموا انَّ هذه العبارة تنفي تعليم الكنيسة المسيحيَّة في الثالوث الاقدس فيشرحون الاية على هذا المنوال بقولهم : ان لفظة « الرب » (وفي اليونانيَّة ὁ Κύριος) في هذا المكان تدلُّ على المسيح امَّا لفظة الروح فهي في اليونانيَّة معرَّفة τὸ πνεῦμα وبتعريفها دلالة على انَّ المقصود هو الروح القدس فيكون المعنى انَّ الرب اي السيد المسيح هو الروح القدس وهو قول يضاد المعتقد المسيحي في تثليث الاقانيم. لكنَّ هؤلاء المتشدقين لو تروَّوا في اقوال الاباء ومفسري الكتاب المقدَّس لتحققوا انَّ سهمهم قد طاش ومساعيهم قد خاب اذ انَّ لهذا النص تفاسير صحيحة مغايرة لتفاسيرهم. ومن جملة هذه الشروح الصوابيَّة شرح الاب اليسوعي اوربان هلستايستر ترول كلّيتنا في العام الماضي فانَّه صنَّف كتابًا كاملًا في بيان معنى هذه الاية الصحيح. فدرس لذلك هذه العبارة درسًا مدققًا ليس فقط في منطوقها المنفرد بل في قرائنها ايضًا. وخلاصة شرحهِ انَّ معنى الاية هو هذا : « الله هو الروح القدس » بتقديم المبتدإ على الخبر اي انَّ الروح القدس هو الله. ولتوطيد هذا الشرح درس حضرتهُ المفردات التي تتركب منها تلك الجملة الاسمية وقابلها بكل الاناجيل المقدَّسة التي ورد فيها ذكر الربّ او ذكر الروح فكانت نتيجة بحثهِ انَّ الربَّ (ὁ Κύριος) هنا لا تدلُّ على المسيح بل على الاله الحقيقي الذي يدعوهُ اليهود يهوَه יהוה وقد قدم الرسول الخبر على المبتدا اثباتًا لمعناه. وعليهِ قد استنتج حضرة المؤلف بانَّ هذه الاية لا تجعل السيد المسيح والروح القدس واحدًا بل تثبت كون الروح القدس هو الله كما الاب والابن. وقد تصفحنا ما كتبهُ حضرتهُ في هذا الصدد فوجدنا ادلَّتهُ ثابتة وبراهينهُ مقنعة لاسيا انَّ اباء الكنيسة اليونانية اجمالًا جنحوا الى هذا التفسير. لكنَّنا لا نوافق المؤلف في نعيهِ لشروح أُخرى وردت في هذه الاية وخصوصًا شرح الاباء اللاتينيين حيث قالوا انَّ لفظة الربّ هنا تدل على المسيح وانَّ معنى الاية هو « ان الربَّ اي

المسيح روحٌ هو» كما نُقلت في توراتنا العربية وهو شرح لا يخلو من الصحة ايضاً وان كان تفسير حضرتهِ ارجح واوفق للاصل اليوناني. الاب ي. ديلنسير

AUX CATÉCHISTES- Programme pour le temps présent, par l'abbé **F. Gellé**, in-16, 1908, *Paris, G. Beauchesne et C^ie^*.

دستور مفسري التعليم المسيحي

لنّ رسالة الاب الاقدس بيوس العاشر في التعليم المسيحي استرقفت انظار كثيرين فأخذوا يبحثون عن اقرب الوسائل وانفعها لشرح التعليم المسيحي. وها هوذا كتاب صغير الحجم جمع فيهِ احد افاضل الكهنة الفرنسويين كلّ ملحوظاتهِ الشخصيّة في كيفية القاء التعليم على الاحداث لينشأوا بمعرفة المعتقدات الدينيّة والفرائض التي يقضي بها الدين عليهم. وقد قسم كتابهُ الى ابواب متعدّدة بيّن فيها كيف يستطيع المتولون لتدريس التعليم المسيحي ان يجذبوا الاحداث ويرغبوهم في ذلك ثمَّ ينتقل الى فصول التعليم فرداً فرداً فيرشد المعلم الى فهم مضامينهِ والطرائق المختلفة التي يمكنهُ ان يستعين بها لتلقين تلك التعاليم وطبعها في عقول الصغار ثمَّ يدلهُ على المشاكل التي ينبغي لهُ حلّها وعلى كل التسهيلات التي تجديهِ نفعاً في هذه المهنة الجليلة لتهذيب عقول الاحداث بكل آداب الدين منذ نعومة اظفارهم ل. ش

Proverbes Arabes de l'Algérie et du Maghreb recueillis, traduits et commentés par **Mohammed Ben Cheneb**. T. III, in-8, pp. 324, *Paris, Ernest Leroux*, 1907.

الامثال العربية الشائعة في الجزائر والمغرب

مرَّ لنا وصف القسمين الاولين من هذا المجموع المفيد (المشرق ٨: ٨٦٣ و١٠: ٢٣٤) فتناولنا عليها ينطبق على هذا القسم الثالث والاخير. وقد دوَّن صاحبهُ الاديب في هذا الجزء الامثال الباقية من حروف المعجم الاخيرة اعني من النون الى الياء (ص ١–٦٦) واضاف اليهِ ملحقاً واسعاً مما فاتهُ في الاقسام السابقة (ص ٦٧–٣٢٤). وكل هذه الامثال منقولة الى الافرنسيَّة مع ملحوظات شتَّى عليها. وقد لقينا في هذا القسم ايضاً عدَّة اغلاط امَّا في رواية المثل واما في شرحهِ. ولا نشكّ في انَّ صاحبهُ الفاضل يصلحها في طبعةٍ جديدة نتمنى وقوعها قريباً برواج الكتاب ان شاء الله ل. ش

كتاب الفوائد الكُبرى في السياحات الصغرى

الجزء الاول سياحة في التيبت ومجاهل آسيا

ترجمة وتأليف حكمت بك شريف الطرابلسيّ الشاميّ (المطبعة الادبية ١٣٢٥ ص ١١٦)

انّ النفس تتوق الى معرفة البلدان السحيقة واخبار اصحاب السياحات فيها. وقد خصّ حضرة الكاتب المتفنن حكمت بك شريف قلمهُ السيّال لتسطير تواريخ تلك البلاد كتاريخ سيام وتاريخ زنجبار وقد افادنا اليوم بأثر جديد اذ باشر بنقل روايات بعض السيّاح الى الاقطار المجهولة. وهذا الجزء الاول منها يحتوي تفاصيل سياحة في التيبت ومجاهل آسيا نشرتها سابقًا جريدة لسان الحال الغرّاء. فتفكّه بها القرّاء حينًا وها هي اليوم جُمعت في هذا الجزء لئلا تضيع فائدتها فنثني على همة كاتبها ونحضُّ احداث الدارس وكل الراغبين في عجائب الاخبار على اقتنائها ل. ش

منهاج الخشوع في حبّ يسوع

ترجمة الاب كميل مارون من مرسلي الاخوة الاصاغر

طبع في اورشليم بمطبعة الآباء الفرنسيسيين (سنة ١٩٠٧ ص ٦٦٢)

قام في انكلترة في اواسط القرن المنصرم كاهن كاثوليكيّ شهير يُدعى وليم فابر ولد في الشيعة البروتستانية ثمّ هداهُ الله بنوع عجيب الى الدين المستقيم فنبذ اضاليل بيعتهِ ودخل في زمرة كهنة الأُورا توار في لندن فعُرف بينهم بفضلهِ وتُقاهُ وصارت له بين مُواطنيهِ شهرة واسعة بمعارفهِ اللاهوتيّة وقد صنّف لافادة الانكليز عدة مؤلفات روحية في كل المواضيع الدينية اقبلت عليها النفوس الصالحة بكل رغبة حتى أنها نُقلت الى معظم اللغات الاوربية. فنشكر اذن همة حضرة الاب الفرنسيسي الفاضل كميل مارون الحلبيّ على تعريب احد هذه المصنفات وهو كتاب الاب فابر المعنون بالانكليزية (All for Jesus) ولعلّهُ اجلُّ واقنع تآليفهِ جمع فيه بين العلم الراسخ والتقى المؤثّر في الارواح. وقد راعى حضرة المعرّب في نقلهِ مع الامانة في الترجمة احوال الطوائف الشرقية فحذف منهُ ما لم يجد فيهِ فائدة لاهل بلادنا متحريًا في عبارتهِ الوضوح والسذاجة ليكون اوقع في النفوس واجدى نفعًا لخلاصها جازاهُ الله عن عملهِ ومتّعهُ بوفرة المقبلين على جنى اثمارهِ الطيبة ل. ش

هديَّة المُقل

أثر مصطفى المخزومي العضو في مجلس المعارف الكبير بدار الخلافة العليَّة
طبع في المطبعة الادبية في بيروت (سنة ١٩٠٨ ص ٥٥)

هذه فصول متفرّقة صنّفها صاحب السعادة مصطفى بك المخزومي ثمَّ جمعها في كتاب واحد. وهي خمسة عشر فصلاً افتتحها بكلام اجمالي في الصحة وشروطها واردفها بفصل في المسكرات ثمّ في القهوة ثمّ في بعض الشؤون البيتيّة والاجتماعيـة الى ان ختمها بفصلين احدهما في اطباء السوء والآخر في الاعتدال. فنهنئ حضرة الكاتب بعمله ونطلب الى الله ان يجازيهُ عن تعبهِ ل. ش

شذرات

معاهد بغداد العموميَّة عند سقوطها الاول كتب الينـا حضرة مراسلنا البغدادي الاب انستاس الكرملي هذه الرسالة التي نرويها بحرفها الواحد:

«كثيرًا ما بحثتُ في كتب التواريخ عن احصاء يذكر معاهد بغداد في عهد اوجها او قبل سقوطها فلم اظفر الّا بشيءٍ قليلٍ منها وفيهِ من الغلوّ الفاحش مـا يدفع المرء الى ان يرتاب في صحة ما يقرأ. وفي هذه الايام اشتريت كتابًا تاريخيًّا اسمهُ «الدرّ المكنون. في المآثر الماضية من القرون» لمؤلّفهِ ياسين العمريّ الموصليّ الحنفيّ. وتنتهي وقائعهُ التاريخيّة سنـة ١٢١٨ هـ (=١٨٠٣–١٨٠٤ م) وفي آخره يقول: «انتهى ما اوردنا من جمعهِ نهار الاحد رابع وعشرين من جمادى الاولى على يد جامعهِ الفقير ياسين العمري بن خيرِ الله الخطيب العمري الموصلي غفر الله لهم آمين امين سنـة ١٢١٨». فيظهر من ذلك ان النسخة الموجودة بيدنا كُتبت في السنة التي ألَّف فيها الكاتب سفرهُ. ومن هذا الكتاب نسخة في لندن وهي النسخة الوحيدة المعروفة في اوربا. وليست غايتنا ان نصف الكتاب نفسهُ بل ان نذكر ما جاء في الصفحة الاخيرة منهُ وفيها فائدة عجيبة وهي الضالّة التي كنت انشدها من عدّة سنوات بخصوص معاهد بغداد العامّة عند سقوطها الاول. وها انا اذا انقلها بحرفها حفظًا لهـا من التلف والبوار واطلاعًا للقرّاء على ما كانت عليهِ بغداد في سابق مجدها وسامق عزّها:

« في بيان جوامع ومساجد وخانقاهات ومدارس ودور حديث وقيسريات(١) وفنادق وخانات حمامات ومدارات (هي المطاحن) وبزّارات (هي معاصر الشيرج) ومزمّلات ماء السبيل كنائس اليهود وبيع النصارى وحوانيت وسراديب وبساتين وسفائن ورؤوس الرجال النصارى لذين يؤدون الجزية ورؤوس الرجال اليهود والذين هم ايضاً يؤدون الجزية والقرى التي هي في شرقي نهر دجلة . والتي هي في غربيّ دجلة في زمن ملوكها الاتابكية وآخرهم لؤلؤ الملك الحكيم الى ن أخربها كفرة التتار عند مجيء الملعون هلاكو خان عابد النيران وقتل المستعصم بالله الخليفة لعباسي وذرّيته وقتل عامة سكان مدينة السلام الغربية العظيمة وذلك في عام ٦٦٠ من الهجرة = ١٢٦١ و١٢٦٢ م)

جوامع خطبة ٣٦ مساجد ٦٠٠٠ خانقاهات ٤٧ مدارس ٣٨ دور الحديث ١٨ قيساريات ١٢٠ سواق ٣٦ خانات ٩٨٠ حمّامات ٢١٠ مدارات ٦٣٠٠ بزّارات ١٢٠ معاصر الزيت ٩٩ مزمّلات سبيل ١٠٢٥ رحوات الماء ٦٨ الدواليب التي يديرها الماء ١٦ بيع النصارى ٥٦ كنائس اليهود ١٦ حوانيت ٨٥١٥ الحوانيت التي يُباع فيها الطربات ١١ قناطر ١٠٦٠ السراديب ١٠٦٠ البساتين في داخل المدينة ٣٦ البساتين في خارج المدينة ٩٥ ابواب المدينة ٩ الجسور ٣ القرى الموجودة في الجانب الشرقي من نهر دجلة ٢٣٠٠٠ القرى الموجودة في الجانب الغربيّ من دجلة ٢٣٠٠ انوال الحياكة التي ينسج فيها الخام والديباج والحرير وغيرها ٧٥٠٠ السفائن ٢٥٠ رجال النصارى الذين يؤدون الجزية ٦٣٠٠٠ رجال اليهود الذين يؤدون الجزية ٣٦٠٠٠ اه بحرفه

ولسوء الحظ ان الكاتب لم يذكر اسم الكتاب الذي ورد منهلهُ ولا اسماء الكُتّاب الذين اخذ عنهم هذه الفوائد الجليلة على اننا نظن ان لا مغالاة في هذه الارقام ولعلّ فيها قصوراً بيّناً اذ يذكر مدارسها ٣٨ والبساتين في خارج المدينة ٩٥ فقط والسفائن ٢٥٠ لا غير فلا جرم ان في هذه الاعداد غلطاً . والله اعلم

---

١) القيسريّة بالسين والعامة تقولهُ بالصاد جرياً على هذه القاعدة المشهورة « اذا اجتمعت السين والقاف . او السين والطاء . او السين والتين . او السين والصاد . او السين والعين . او السين والخاء . فانت الخيار بها ان شئت سِنتها وان شئت صوّدتها . هذا من جهة اللفظة واما من جهة المعنى فالقيسرية نوع من الخان يكون مسقوفاً في اغلب الاحايين وفيهِ دكاكين للباعة والتجار وربما كان فيهِ حُجر فوق الدكاكين او في جانب منهِ يسكنها اصحاب الدكاكين او الباعة او التجار . الّا ان وجود الحجر في القيسريات قليلٌ . وهذا هو وجه الفرق بين الخان والقيسرية . ويقال فيها قيسرية وتجمع على قياسير وقيساريات وقد وردت في كتب المولّدين من ذلك في كتاب المقدسي ص ٧٦ س ١٥ في كلامهِ عن منّى قال : بها آبار ومصانع وقياسير وحوانيت حسنة البناء . وذكر العبارة ياقوت فقال بدلاً من قياسير : خانات . وقال ياقوت (في ١ : ١٨٦ س ٢٢) عند كلامهِ عن اربل : « قام بعمارتها (اي بعمارة المدينة الجديدة) وبناء سورها وعمارة اسواقها وقيسارياتها الامير مظفر الدين كوكُبري بن زين الدين كوجك »

❊ المعادن في الترنسفال ❊ نُشرت لائحة المعادن في بلاد الترنسفال للسنة المتصرمة مباشرةً بأول تموز من السنة ١٩٠٦ الى مثلهِ في ١٩٠٧ فكانت نتيجتها انَّ المناجم المعدنية كلها في ترقٍ ونموٍ. فانَّ محصول مناجم الذهب بلغ في السنة المذكورة ٦٦٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك بزيادة ١٠٨,٠٠٠,٠٠٠ على العام السابق. وكذلك مناجم الالماس زاد محصولها على الضعف فانها في السنة ١٩٠٥—١٩٠٦ أدَّت لأصحابها من الحجارة الكريمة ما يساوي ٢٤,٠٠٠,٠٠٠ ف فكان في العام المقبل ثمن تلك الحجارة ٥٥,٠٠٠,٠٠٠ امَّا الفضَّة فانها قد استُخرج من مناجمها ما تساوي قيمتهُ ٢,٣٠٠,٠٠٠ بزيادة ٦٠٠,٠٠٠ فرنك على العام السابق. وبلغ محصول النحاس مليونًا من الفرنكات بزيادة ٥٢٥,٠٠٠ ف وترقَّى محصول القصدير من ١١٠,٠٠٠ ف الى ٧٠٠,٠٠٠ والرصاص من ٦٨,٠٠٠ الى ٥٠٠,٠٠٠

❊ مزامير القديس بوناونتورا ❊ للقديس بوناونتورا (+١٢٧٤) المعروف بالملفان السروفيّ رياضة تقويَّة وعدَّة صلوات خشوعية لاكرام مريم البتول الطاهرة منها تسابيح او مزامير مرتَّبة على حروف اسم العذراء مريم تبتدئ آيات كل مزمور منها باحد حروف هذا الاسم الكريم على لفظهِ في اللاتينية «ماريا». فاحبَّ حضرة الشمَّاس الفاضل داود صليوا الكلداني الكاثوليكي ان ينظم هذه المزامير بالشعر العربي التماساً لشفاعة العذراء المجيدة. فطلب الينا ان نثبتها في صفحات المشرق. فلبَّينا دعوته بطيب القلب في هذا الشهر المريمي المبارك. وقد التزم حضرة الناظم في اوَّل كل بيت ورويِّهِ حروف اسم مريم كما في الاصل وهو نوع من البديع العربي يُدعى بمخشَّم الطرَّفين او مشبك الطرَّفين. وقد تجاوز حضرته في نظمهِ بعض الجوازات الشعريَّة ليكون اقرب الى نصّ الاصلي

المزمور الاوَّل (من بحر الطويل)

مدينةُ مولاها تُعظِّمُ مريمُ ... وفي بيعةِ الابكار تسمو وتُكرَمُ
مراحمكِ الغرَّاء شاعتْ لدى الورى ... فبارِكْ اعمالًا أتيتِ المعظَّمُ
مولاتنا نجّي البلا عن بلادنا ... واشفي لنا سقمًا يسوءُ ويؤلمُ
ملاكًا بشيرًا ارسليهِ لقائنا ... يقينا من الاعداء شرًّا فنسلمُ
موقيةً كوني لنا ورحيمةً ... لانَّ رجاء الكونِ أنتِ أمريمُ
مناةً اذكرينا واستجيبي بكائنا ... ورِي زفراتِ من حمانا تُقدَّمُ
مليكتِ علينا فاشفعي وتضرَّعي ... ونجّي حجابَ الهمِّ عنّا تُرنَّمُ

مراحمكِ العظمى نؤمُّ بضيقنا … أنيري لنا قلباً بحقكِ يُغمَمُ
مماليكُكِ الانَ ارحمي لا تي بهم … اذا مسهم ضيقٌ وضرٌ يُسوَّمُ
ملكتِ زمامَ المجد صوني حياتنا … ونجي عبيـدًا من مكارهَ تُجرَمُ
مصائبنا تُجلى براقتك التي … نؤمّلها سُلوانَ حزنٍ يُختَمُ
من الضيق مسحوقي القلوب انشلي كذا … بأزر النجـا شدّي متونًا تُهدَمُ

المزمور الثاني (من بحر البسـيط)

اليك ارفعُ مدحاً قد خُصصتِ به … فأبهجيني بصوتٍ من حماكِ أتى
انَّا نُناديكِ من قلبٍ يضيقُ بنا … من طورِكِ الاقدس اصغي يُشفَ كلُّ أسى
أقدِم أيا خاطئاً نحو البتول وتبْ … ثمَّ اعتنق قدمَيها تاتِ خيرَ لسا
أقبل اليها باكرام وحسنِ رجا … يا عابدًا تحظَ بالانعام حيث ترى
ايتوا اليها وانتم في شدائدكم … يُضيئكم نورها في ظلمةٍ ودُجى
انَّا نجونا بها من غيِّ طالبنا … من يزأرنْ لابتلاع النفس منذُ هوى
احفظ وصايا العلي يا شعبُ أبدًا … واذكُر اوامرَ مولاةِ السما وكفى
افتح فؤادكَ وافضهُ بجملتهِ … وارفع عقيرة حمدٍ واعترف بغنى
انعِم أُتعَد يا هوى قلبي بها شغفاً … بالحرّي ردّت عدوًا بالهلاك سعى
ازالتِ الحزنَ من جنانِ عابدها … وابهجت لُبنا بلينها فنجا
أُسجد لمن بكمال الحسن أبدعها … وعظِّمنْ قدرها ذاك الرفيعَ سنا
الجأ الى عونها تُنقذكَ مسرعةً … من الوباء وطاعونٍ وشرِّ ردى

المزمور الثالث (من بحر البسـيط)

رايتُ مريم في الضيقات ملجأنا … وقوّةً تسحقُ الاعداء والضررا
راعوا كرامتها يا عابديها تكن … في عونكم تشفعنْ فيكم لتيه مرّا
روحوا اليها الجأوا في وقت كربكمو … فانها الحقّ لا تُبقي ولن تذرا
رجزَ ابنكِ عن عبادكِ اصرفي ابدا … وارضي بان تشفعي فيهم بما غبرا
ربّي ضعفنا يا بتولًا في تحننكِ … وأسرعي ان تزيلي الضيق والخطرا

رعيةُ ابنك فاذكري مقاصدهم   وأسنديهم فهم عبيدك الفقرا
رجوك كيلا شرور الدهر تدهمهم   عني لدى الموت كي نحيا ونفتصرا
روّي صدى قلبنا من فيض لذّتك العليا لننسى كروب الدهر والكدرا
دَيْ من تواضعنا ذلّا ولا تدعي   ان تترقنْ في البلايا او نرى عُسرا

المزمور الرابع (من بحر البسيط)

يا مريمُ البكرُ اني أستغيث بك   من اجل وفر مراحم ابنك في يدَيْ
يا مريم البكر نوري من صباي لقد   خرجتُ نحوك كي لا ضعف يقوى عليّ
يا مريم البكر روحي في يديك لقد   اودعتُها وحياتي ناذرًا أصغرَيْ
يُفاض نورٌ علينا من تحننك السامي لكي نستنير اليوم في كل شيّ
يا مريم البكر لُمْ الله فيك غدا   خلاصُنا فاشفعي فينا فلم نلقَ غيّ
يا مريمُ البكر مضمونَ الصلوة الى   ناديك ترفعُ فارتضي بنا لا تَنَيْ
يا مريم الفوزُ والافراحُ أبتِ لنا   وسرمدًا مجدنا ينجو بك كلُّ حي

المزمو الخامس (من بحر الطويل)

الى مريم انّا صرخنا بضيقنا   فكم لبّت الداعي برفقٍ متى جاء
اليها رفعنا النفسَ عند القضا ترى   بطلْباتها لم نخزَ او نلقَ ضرّاء
أهني التي فيها تخلّص آدمٌ   عليك سلامُ الله ما كوكبٌ ضاء
الى العرش رقّاها بلحن ملائكٍ   لو كلّلها وردًا زنابقَ غرّاء
ألا يا أرحضي مولاتنا كلّ اثمنا   واشفي لنا سقمًا وداويَ أدواء
ألا فرّجي الهمَّ اصرفي كل شدّةٍ   ولاشي لنا الاوجاع منها لقد ساء
أما بكِ عنّا يُصرفنْ رجزُ ربنا   فأرضيه بالطلْبات عنا كما شاء
ألا يا افتحي ابواب برٍ أمامنا   فنخبرَ بالايات سرًّا وانباء
ألا أقدمي نحو ابنك واشفعي بنا   لننجوَ من سوء ونحظى بسرّاء
أما عوننا فيها وفي قوّة اسمها   بها كلُّ أمرٍ يستقيم وما فاء
ألا يا انقذي خدّامك من بلابلٍ   فيحيوا بأمنٍ فيك اذ لن يروا داء
ألا نحوك كلُّ القبائلَ تسجدنْ   ومعهمْ اجواقُ الملائك اسواء

اسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد من ادباء البلدة: ١ً من هم الالهة الذين ورد ذكرهم في هذه الاية (خروج ٢٢: ٩): كلُّ دعوى جناية في ثور او حمار او شاة او ثوب او كل ضالة يقال فيها «الامر كذا» قال الآلهة تُرفع الدعوى ومن تحكم الالهة عليهِ يعوِّض صاحبهُ مثلين. ٢ً كيف التوفيق بين اية انجيل يوحنا (١٠: ٣٠): «انا والاب واحد» وقولهِ (١٤: ٢٨): «الاب هو اعظم مني»

حل مشكلين كتابيين

ج نجيب على (الاوَّل) لانَّ بني اسرائيل كانوا اذا ارادوا الدلالة على الاله الحقيقيّ دعوه باسم يَهْوَه اي الكائن كما اوحى الله بهِ الى موسى. وقد استعملوا في اسمهِ الكريم اسماء أُخرى كانت شائعة عند بني سام كالاشوريين وغيرهم اخصُّها ايل وألوهيم. ولمَّا كانت الشعوب السامية تشير بهذين الاسمين الى آلهتها الكاذبة لم يأنف الاسرائيليُّون من استعمالها ايضاً للاصنام. ولئلّا يقع الالتباس في المعنى عرَّفوهما عند دلالتهم على الاله الحقّ اما باداة التعريف فيقولون الايل (האל) او الالوهيم واما باضافتهِ الى اسم آخر كقولهم «ايل ابرهيم» والوهيم يعقوب او «ايل السماء» او «ايل الخلاص». وقد جاء اسم الوهيم مجازاً في آيات متعدّدة من الكتاب المقدَّس كما يظهر من القرائن. فالاية المطلوب شرحها تدلُّ فيها لفظة «الوهيم» على القضاة اذ لا يمكن ان تُرفع الدعاوي الجنائية الى غيرهم. ومثل هذا آياتٌ اخرى بمعناها (راجع سفر الخروج ٢١: ٦ثم المزامير ٨١: ١ و٦) وهلم جرًّا. ونجيب على (الثاني) انَّ السيد المسيح يستطيع ان يقول دون أدنى تضادّ في قولهِ «انهُ والاب واحد» و«انَّ الآب اعظم منهُ» كما يمكنهُ القول «انا انسان» و«انا اله» وذلك على حسب اعتبارهِ في ذاتهِ احدى طبيعتَيهِ اللتين يتألف منهما اقنومهُ الواحد. كما يمكن الانسان ان يقول عن شخصهِ انا روح (اي من حيث نفسي) وانا هيولي (اي من حيث جسدي) ل.ش

س ورد علينا هذا السؤال من عزيز فتنبهُ بحرفهِ: أيجوز لأيٍّ علم كان ان يرافق الجنازة الى الكنيسة ولاسيَّما اذا منعهُ الاسقف وحرم نشرهُ في الحفلات الدينية

الأعلام في الجنائز

ج انَّ المجمع المقدس اجاب غير مرَّة على اسئلة كهذه بالسلب. منها جواب لرسالة الى اكليروس بادوا في تاريخ ١٤ تموز ١٨٨٧ وتعريبهُ: «لا يُسمح في حفلات

الدين ان يُتّخذ غير الأعلام الدينية المباركة بالصلوات المدوَّنة في كتاب الطقوس الروماني» — وفي رقيم آخر تاريخهُ ٣ ايلول سنة ١٨٨٧ امر المجمع المقدَّس «بان لا يبارك خادم الدين سوى أعلام الجمعيَّات التي صادقت السلطة الروحية على رسومها وقوانينها ولها مع الدين بعض العلاقة ويجب ان تنقش على تلك الرايات رموز تقويَّة ولا تتضمَّن البتَّة علامة مستكرهة. امَّا ادخال الرايات الى الكنيسة فلا يجوز الَّا اذا كانت لاخويات دينيَّة وباركها الكاهن كما مرَّ»

ومن ثمَّ اذا ما رأى الكاهن في الكنيسة علَماً ما لم يُراعِ هذه الشروط عليه بتنبيه حامليهِ على إبعاده من الرتب الدينية واخراجهِ من الكنيسة فان اصرَّ اصحابهُ على اثباتهِ في الكنيسة يترتَّب على الكاهن ان يخرج هو منها ويكفَّ عن اجراء الرتبة الدينية

ن · م

س سألنا احد الرهبان من الجزائر ما هي الكتب التي طُبعت في العربية عن سيدة لورد
المطبوعات العربية عن سيدة لورد

ج لا نعرف منها غير هذه الكتب الثلاثة: ١ً كتاب النزهة في الورود بمثل ظهور السيدة في لورد. عرَّبهُ القس جرجس السرياني (طبع في الموصل سنة ١٨٩٣ ص ٢٦٠). ٢ً تحفة المقارب في سيدة لورد امّ العجائب للعلَّامة دانيال بار به تعريب القس افرام الديراني (طبع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٨٩٤ ص ١٤٣ وهو مزيَّن بالصور). ٣ً لورد وفتاتها بقلم السيد جرمانوس معقد مطران اللاذقية (طبع في مطبعة الفوائد سنة ١٨٦٦ ص ٩٥)

س وسأل من غلبون حضرة الخوري الياس الخوري ١ً هل الجهل الغير مقدور الدفع يمنع انعقاد البطلان ٢ً وهل يمنعهُ متى كانت الشريعة لم تقصد بالابطال الأمعاقبة الجريمة
مفعول الجهل

معلوم انَّ الجهل الذي لا يمكن دفعهُ لا يُبطل مفعول الشريعة من ذاتهِ لما ينتج عن ابطال الشريعة من المفاعيل السيئة. مثال ذلك ان ترتبط امرأة بسرّ الزواج مع رجل وثني وهي لا تعلم بدينهِ فان العقد باطل من ذاتهِ وان كانت بريئة من الخطيئة لجهلها. امَّا اذا كان المقصود بوضع الشريعة معاقبة الجريمة فقط فيبطل مفعول الشريعة اذا كان الانسان يجهلها لأن الجهل التام يمنع الجريمة

ل · ش